سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٠١)

الباذهنج

مكيف الهواء عند العرب
من خلال كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"والرسوم بجوامع [١] هذا الإقليم إذا سلّم الامام كلّ يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفا يقرأ فيه جزءا ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكّرين ولهم أذان ينفردون به [٢] على طريق [٣] النياحة ثلث الليل الأخير وله قصّة يأثرونها [٤] وبين العشائين جامعهم مغتص [٥] بحلق الفقهاء وائمّة القرّاء وأهل الأدب والحكمة ودخلتها مع جماعة من المقادسة فربما جلسنا نتحدّث فنسمع النداء من الوجهين دوّروا وجوهكم الى المجلس فننظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد [٦] وعددت فيه مائة وعشرة مجالس فإذا صلّوا العشاء اقام البعض الى ثلث وأكثر سوقهم [٧] إذا رجعوا من الجامع ولا ترى اجلّ من مجالس القرّاء به وبه مجلس للمتلعّبين [٨] ولهم إجراء ويضربون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة [٩] ويخلو أسواقهم أيّام [١٠] الجمع، قلّ ما يلبسون ثوبا غسيلا أو نعلا قد امتعطت ولا يكثرون اكل اللحم ويكثرون الإشارة في الصلاة والنخع والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر [٦] ويخبزون في الرساتيق وقت البيادر ما يكفيهم الى عام قابل ثم ييبّسونه ويخبونه [١١] ولهم باذهنجات [١٢] مثل أهل الشام [٦] أهل تجمّل وتردّ [١٣] وتملّق يمينهم الكبرى وراس الله والصغرى وحقّ عليّ يحبّون رءوس السمك ويقال انهم إذا رأوا شاميّا قد اشترى سمكا اتبعوه فإذا رمى رءوسها أخذوها [٦] يكثرون اكل الدلّينس اقذر شيء حيوان بين زلفتين صغيرتين يفلقان ويحسى [١٤] مثل المخاط ومن عيوبهم ضعف قلوبهم وقلّة ثمارهم وأهل الشام ابدا يعيّبونهم ويسخرون منهم يقولون مطر أهل [١٥] مصر الندى، وطيرهم الحدا [١٦] وكلامهم يا (١)

"العنبر والكافور بالفرس من الجرارات البادهنجات وَيَقُول أصل هَذِه الْأَمْوَال لَا يَفِي بهَا خراج الْمَعْمُور من الْمَعْمُور على مر الدهور على مَا كَانُوا يخرجونه من تجهيز الجيوش وَعمارَة المدن وَإِقَامَة الرَّسْم وَحفظ الهمم وإجراء الأرزاق وَإِنَّمَا هِيَ من الْكُنُوز الَّتِي استخرجها الْحَاكِم من أَرض مصر الَّتِي هِيَ محل الهياكل الْقَدِيمَة والمدائن الْعَظِيمَة وَإِنَّهُ مِمَّا أَفَاء من تِلْكَ الألحاد

وَذكر أَن رجلا اسْتَأْذن عَلَيْهِ فَلَمَّا دخل وَمثل بَين يَدَيْهِ إِذْ هُوَ قد تغير وَجهه وشحب لَونه وَهُوَ أَشْعَث أغبر وَعَلِيهِ أثر السّفر فَلَمَّا سلم أمره بِالْجُلُوسِ وَتَركه حَتَّى سكن وتأنس وَرجعت إِلَيْهِ نَفسه ثمَّ قَالَ لَهُ من يكون الرجل فَقَالَ لَهُ أَنا رجل من أهل حوران وَكنت خرجت من بلادي فَوَقعت البجا فَكنت عِنْد رجل مِنْهُم

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٠٥

وَلِلْقَوْمِ جمال يتراهنون بهَا ويتسابقون عَلَيْهَا وتعلمت رُكُوب تِلْكَ الْجمال والمسابقة عَلَيْهَا فَكَانَ الرجل الَّذِي كنت عِنْده يَأْمُرنِي بالمسابقة عَلَيْهَا فركبت يَوْمًا فَلَمَّا استويت على ظَهره ضَربته فَانْدفع بِي كَأَنَّهُ الْبَرْق فَمَا علمت هَل أَنا فِي بر أَو فِي بَحر وَلم أقدر على إِمْسَاكه فَلَمَّا كَانَ آخر النَّهَار برك بِي على عين تجْرِي فَنزلت وشربت من مَائِهَا وَإِذا حَصى الْعين ياقوت أَحْمَر وَأَنا لَا أَدْرِي فِي أَي مَوضِع أَنا من بِلَاد الله فَبت بذلك الْموضع فَلَمَّا أَصبَحت مَلَأت مخلاة." (١)

".[السراج]_[٢٥ - ٠٤ - ٢٠٠٩، ٠٦:٢٩ ص].

السابعة:

(موناليزا – للشاعر السوداني – محمد المهدي المجذوب) عدد ٤٦٩

- مقاطع –

(... والمجذوب واحد من هؤلاء الذي أغوتهم لوحة " الموناليزا " وأمدتهم ببعض سحرها وغموضها. فعكف – في قصيدته – على تحري هذه الصورة النورانية التي لا تلوح إلا لعشاق الحب الروحي الأسمى، عشاق الوجد الصوفي والحب الإلهي ..)

هي أمن وكم أتوقُ إلى أمن وضعفٌ يثيرني واقتدارُ
هي كالبحر ليس يؤمن منها، جانب فيه عاصف وقفارُ
وجبالٌ من حيث لا يدرك الظن تهاوى وما حواها قرارُ
حبها مقمر فليس يضل الليل فيه ولا يغيبُ النهارُ
هي كأس في ظلها ضحك الأنوار خدرٌ يذوب فيه السرارُ
ملء عيني فكيف أعجز أشواقي لون يشفّ عنه الأزارُ

إن حبي أسره فهمي سر، وحنين بلا مهاد وظنُّ
زهرة في جنوبها العسل الخفاق روض بقطرة مستكنُّ
حبها الروحُ ملء روحي على قربي منها وقربها كم تضنُّ

(١) أخبار بني عبيد الصُّنْهاجي ص/١٠١

أنت حبي فما ينالك شعر، نال مني ولا ينالك فنٌّ
نفس عب فيه من دمي المحرور نفح أشمّه وأجنُّ

.[السراج]ـ[٢٥ - ٠٤ - ٢٠٠٩، ٠٦:١٧ م].
الثامنة:

(شاهد قبر) عدد ٣٥٠
من استطلاع عن مالطة كتبه صلاح حزين

من المضحك المبكي أن تكون شواهد القبور، وبعض الجثث التي وجدت في مقابر المسلمين قرب الرباط و" مدينة " هي أكثر الشواهد دلالة على وجود العرب في مالطة ...
... ومن أشهر شواهد القبور التي عثر عليها والتي لا تزيد على الثلاثين في أحسن الأحوال الشاهد الذي عرف باسم ميمونة، وهو عبارة عن لوح من الرخام، كتب عليه بالخط الكوفي الجميل.
" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على النبي محمد، وعلى آله وسلم تسليما، لله العزة، والبقاء، وعلى خلقه كتب الفناء. ولكم في رسول الله أسوة حسنة. هذا قبر ميمونة بنت حسان بن علي الهذلي، عرف بابن السوسي، توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس السادس عشر من شعبان الكائن من سنة تسع وستين وخمسمائة، وهي تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " ثم كتبت هذه الأبيات من الشعر:

انظُرْ بعينك هل في الأرض من باقي=أو دافعٍ للموت من راقي؟
الموت أخرجني قسراً فيا أسفي=لم ينجني منه أبوابي وأغلاقي
وصرتُ رَهْنا بما قدمت من عملي=مُحصى عليّ وما خلّفتهُ باقي
يامن رأى القبر إني قد بَلِيْتُ به=والتربُ غيّر أجفاني وآماقي
في مضجعي ومقامي في البلى عبر=وفي نشوري إذا ما جئت خلاقي
أخي فَجد وَتُبْ "

.[السراج]ـ[٢٦ - ٠٤ - ٢٠٠٩، ٠٧:٥١ ص].

التاسعة:

(**البادهنج**، أشار إليه الأدب العربي) عدد ٣٥١

لا شك أن القارئ عندما يقع نظره على لفظ " **البادهنج** " سيتساءل: كاهو **البادهنج؟** وماذا يعني؟ هل هو اسم لنوع من العطور؟ أم هو اسم صنف من الزهر يماثل البنفسج مثلا؟ أم أن له صلة بحجر البادر زهر أو الدهنج. لن أطيل في تقريب معنى **البادهنج** إلى الأذهان، لكن أقول إنه ليس هذا وليس ذاك أيضا، ولا يمت إلى ما ذكرناه بصلة.

فالبادهنج جهاز علمي للتهوية، مصمم ببراعة مدهشة، على أدق الأسس الفنية، ابتكره العرب في العصر العباسي لتكييف أجواء الدور والقصور، بيد أن كل من تناول هذا الجانب الحضاري " تكييف الأجواء عند العرب وتهويتها " لم يشر إلى هذا الجاز التقني الطريف متقن الصنعة ..

... وجاء ذكره في " ألف ليلة وليلة "، ففي تضاعيف إحدى الحكايات ورد القول التالي: " وفيه **بادهنج** إلى جانب المطبخ ".

وسماه أبو الحسن عبدالكريم الأنصاري " راووق النسيم " يقول:

ونفحة **بادهنج** أسكرتنا=وَجَدتُ بروحها برد النعيم

أتتنا من أنيق الشكل سمحٍ=تراه مثل راووق النديم

صفا وجرا الهوا فيه رقيقاً=فسميناه راووق النسيم

وكان القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي أكثر الناس ولوعا **بالبادهنج**، وله فيه أشعار وأقوال. وأقدم من ذكره من الشعراء مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ)، يقول في قصيدة يصف فبها هواء بيت مجلوب من **بادهنج** قد شيد على سطحه مفتوح الجناحين لمهب الجنوب والشمال:

وأهدى الهواء له ناشر=جناحين لو حملاه لطارا

تنصت للريح مستفهما=بأذنين لا يحملان السرارا

إذا عبرت مطلقات الربا=ح ليسكنه ظلْن فيه أسارى

فتلفظ منها السموم الشرار=ويلفي إلينا النسيم الحبارا

.[السراج]ـ[٢٦ - ٠٤ - ٢٠٠٩، ١١:٢١ ص].

العاشرة:

(الشاعر) عدد ٤١٠

... كما تميز البحتري – بين شعراء عصره – بحاسة صوتية نادرة، جعلته قادراً على استخدام المؤازر لموضوعه الشعري في موكب بديع من الأصوات والأنغام.

وهذه القصيدة التي قالها في مدح الخليفة العباسي " المتوكل " الذي جمعته به علاقة حميمة ومودة قوية دليل على قوة شاعريته وعذوبة لغته ويسر تناوله وروعة تصويره، وهي الصفات التي استحق بها أن يصفه المتنبي – عن جدارة واستحقاق – بأنه الشاعر.

يقول البحتري:

عذيري فيك من لاح إذا ما=شكوت الحب حرّقَني ملاما

فلا وأبيكِ، ما ضيعتُ حِلما=ولا قارفتُ في حُبيك ذاما

ألام على هواك، وليس عدلا=إذا أحببتُ مثلك أن أُلاما

لقد حرّمتِ من وصلي حلالا=وقد حلّلتِ من هجري حَراما

أعيدي فيّ نظرة مُستَثِيبٍ=توخى الأجر أو كره الأثاما

ترى كبدا محرّقةً، وعيناً=مؤرقةً، وقلباً مستهاما

تناءت دار علوةَ بعد قربٍ=فهل ركبٌ يُبلّغها السلاما

وجدد طيفها لوما وعتبا=فما يعتادنا إلا لماما ...

أمينَ الله دُمت لنا سليما=ومُلّيت السلامةَ والدواما

أرى " المتوكلية " قد تعالت=محاسنها، وأكملت التماما

قصور كالكواكب لامعات=يكدن يُضئن للساري الظلاما

وبر مثل برد الوشي فيه=جنى الحوذان يُنشر والخزامى

إذا برق الربيعُ له كسته=غوادي المزنِ والريح الرخامى

غرائب من فنون النبت فيها=جنى الزهر الفرادى والتؤاما

تُضاحكها الضحى طورا وطورا=عليها الغيث ينسجم انسجاما

ولو لم يستهلّ بها غمامٌ=بريِّقه لكنت لها غماما

١/٨." (١)

"وقد رأيت لبعضهم ستة أسماء من سور القرآن العظيم في بيت واحد وهو قوله:

أقول وقد هبت لنا نسمة الصبا ... ترى دارت بنا كأس قرقف

وفاطر قلبي هل أتى نبأ الورى ... بتمل عذار جاء في صف يوسف

وما أحسن ما نقلته من خط السراج الوراق:

سامح بفضلك من أتى ... ذنباً ولقنه المعاذر

وبزخرف من قوله ... كن أنت للزلات غافر

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه أيضاً:

حياة المنازل سكانها ... هم روحها وهي جثمانها

أضاءت بمن حلها بهجةً ... كما حل بالعين إنسانها

وللظاعنين تحن الديا ... ر كأن الأحبة أوطانها

قلت: ذكرت بهذا قول أبي الحسين الجزار، وهو:

طرف المحب فم يذاع به الجوى ... والدمع إن صمت اللسان لسان

يا سائلي عما تكابد مهجتي ... إعراب طرفي بالدموع بيان

تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن ... تبكي عليه إذا نأى الأوطان

وأنشدني قال أنشدني المذكور لنفسه في باذهنج:

كأنما الباذهنج قلع ... علا على الفلك حين تسري

لكن ذاك الرياح أجرت ... وذا غداً للرياح يجري." (٢)

"وذكر هنا قول شهاب الدين مسعود بن محمد بن مسعود السبكي المالكي:

وباذهنج إذا حر المصيف أتى ... أهدى النسيم وقد رقت حواشيه

---

(١) أرشيف منتدى الفصيح – ٣ مجموعة من المؤلفين /

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣٧٨/٤

مصغ إلى الجو ما ناجاه نافحة ... إلا ونم عليه فهو واشيه

قلت: ومما قلته أنا في **باذهنج**:

بنينا للتنسم **باذهنجا** ... غلا فعلى إلى جو السماء

وراق به الهواء ورق لطفاً ... فسميناه راووق الهواء

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في شيخ منحن مطيلس:

كالعين شيخ منحن ... مطيلس أعرفه

تقويسها كظهره ... ورأسها رفرفه

قلت: هذا تشبيه عجيب، وتخيل غريب إلى الغاية.

وأنشدني قال أنشدني فيمن جهز إليه بوريه فايتة:

دع الاضطراب عن الحيا ... ة وخل نفسك ثابتة

وازرع فحبات القلو ... ب بها المحبة نابته

وذكرت فايتةً فقم ... للفور واقض الفايته

محمد بن جنكلي

الأمير ناصر الدين ابن الأمير بدر الدين جنكلي ابن البابا الحنبلي.." (١)

"النهار، فسُئل عن ذلك فيما بعد، فقال: اشترينا خمس مئة كوز، وبعثنا الى الجيران قليلاً، برّدوا ذلك في **الباذهنجات** التي لهم.

ولا شكّ في أنه كان عالي الهمّة ممجَّداً مسوّداً، ولكن لم يكن له سعادة جدّه ولا دربته في تنفيذ الوزارة، فإنه وليها مرّتين وما أنجب فيها، وكان له إنسان مرتب معه حمام كحمام البطايق مدرَّب، إذا خرج من باب القرافة أطلق ما معه من الحمام، فيروح الى الدار التي له فيعلم أهله أنه قد خرج من القلعة، فيرمون الطُّطماح والملوخية وغير ذلك من أنواع الطعام ومن المطجَّن وما شابهه، حتى إذا جاء وجد الطعام حاصلاً والسماط ممدوداً.

وله ديوان شعر لطيف سمعه منه ابن شامه وابن الصابوني.

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال: اجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث، وأنشدني من لفظه لنفسه:

ولقد أتيت على أغرّ أدهمٍ ... عبل الشّوى كالليل إذ هو مظلمُ

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٣٧٩

وبكفي اليُمنى قَناةٌ لدْنةٌ ... كالأُفعوان سنانها منه الفمُ

متقلّداً غضباً كأن متونه ... برقٌ تلألأ أو حريقٌ مضرم

وعليّ سابغةُ الذّيول كأنها ... سلخٌ كسانيه الشجاع الأرقم

وعلى المفارق بيضة عاديّةٌ ... كالنّجم لاح وأين منها الأنجم

فالرّعد من تِصهال خيلي والسّنا ... برقُ الأسنّة والرّذاذ هو الدّمُ." (١)

"عبد الله امرأة ابن المستوفي المغينة كان يعرفها قبل ذلك فأخفته، ثم دلهم عليه بعض الناس فكبسوا البيت فوجدوه قد اختفى في **البادهنج** فأمسكوه واطلعوه إلى القلعة فتولى أينبك تقريقه على الذخائر وضربه تحت رجليه نحواً من سبعين ضربة بالعصي، ثم خنق في خامس ذي القعدة ودفن بالقرب من الست نفيسة ثم نقل إلى تربة أمه. وكان الأشرف هيناً ليناً محباً في المال في أهل الخير والفقراء والصلحاء والعلماء مذعناً للأمور الشرعية، ملك أربع عشرة سنة وشهرين ونصفاً، وكانت الدنيا في زمانه طيبة آمنة.

وفيها ظهر رجل بدمشق يقال له: حسن النووي، يدعى إخراج الضائع فكان يتحيل في الإطلاع على بعض الأمور فيخبر بها، فارتبط عليه الناس إلى أن سئل عن سرقة فدل على رجل فظهرت عند غيره فاستفتى عليه فأفتى بتأديبه فضربه الحاجب وشهره.

وفيها ظهر بدمشق نجم كبير له ذؤابة طويلة من ناحية المغرب وقت العشاء، وفي آخر الليل يظهر مثله في شرقي قاسيون.

وفيها شكى أهل بعلبك من نائبهم فولى نائب دمشق غيره فوصل من مصر نائب غيره، فقيل لهم إنه أخو الذي شكوا عليه وإنه أضمر لهم سوءاً، فباتوا منه وجلين فمات في الطريق قبل أن يصل إليهم وفرج عنهم.." (٢)

"مضببة بالذهب والفضة، ومقابض المرايا ما بين عقيق وجزع وصندل وعود وأبنوس وغيره.

وأخرج عدة أعدال من الخيام والمضارب والمنارات والخركاوات وغير ذلك من أنواع الخيام المعمولة من الدبيقي والمخمل وسائر أنواع الحرير المثقل وغير المثقل، مما هو منقوش ومصور بسائر الصور العجيبة الصنعة، وسائر أعمدتها مكسوة بالفضة المذهبة، ولها الصفريات الفضة والحبال القطنية والحريرية. فكان منها ما تحمل الخيمة منه على عشرين بعيراً وأكثر.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١١٨/٥

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٣٠/١

وأخرجت المدورة الكبيرة؛ وكانت تقوم على خرط عمود طوله خمسة وستون ذراعاً بالكبير، ودور مكللته عشرون ذراعاً، وسعة قطرها ستة أذرع وثلثا ذراع، ودور المدورة خمسمائة ذراع، وعدة قطع خرقها أربع وستون قطعة، كل قطعة منها تحزم في عدل، وتحمل على مائة جمل، وفي صفرتها ثلاثة قناطير فضة يحملها من داخلها قضبان حديد تسع راوية ماء من روايا الجمال، وفي زخرفتها صور سائر الحيوانات، ولها **بادهنج** طوله ثلاثون ذراعا. كان عملها لليازوري في وزارته، فأقام يعمل فيها مائة وخمسون صانعاً نحو تسع سنين، وصرف عليها ثلاثون ألف دينار؛ أراد بها محاكاة القاتول الذي عمله العزيز بالله فجاء أعظم منه وأحسن. وبعث إلى متملك الروم في طلب عودين للفسطاط طول كل منهما سبعون ذراعا، فأنفذهما إليه؛ وقد بلغت النفقة عليهما حتى وصلا ألف دينار؛ فعمل أحدهما في الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع، وأخذ الآخر ناصر الدولة ابن حمدان لما خرج إلى الإسكندرية.." (١)

"يا مولانا، الأفضل لا يجري مجرى أمير المؤمنين. وحمل إليه من الثياب الفاخرة برسم جهاته ماله قيمة جليلة.

وفي شوال بلغ المأمون أن جزيرة قويسنا ومنية زفتى ليس فيهما جامع، فتقدم إلى بعض خواصه وخلع عليه، فسار وبنى جامعا على شاطىء النيل بمنية زفتى، وقرر فيه خطيباً وإماماً ومؤذنين، وفرش، وأطلق برسمه نظير ما للجوامع.

وفيه وصل الفقيه أبو بكر محمد بن محمد الفهري الطرطوشي من الإسكندرية بالكتاب الذي حمله: سراج الملوك، فأكرمه وأمر بإنزاله في المجلس المهيأ للإخوة، وتقدم برفع أدوية الكتاب وأوطئة الحساب وسلام الأمراء، وعمل السماط، وسارع إلى **البادهنج**، واستدعى بالفقيه. فلما شاهده وقف، ونزل عن المرتبة، وجلس بين يديه؛ ثم انصرف، ومعه أخو المأمون، إلى مكان أعد له، وحمل إليه ما يحتاج له وأمر مشارف الجوالي أن يحمل له في كل يوم خمسة دنانير بمقتضى توقيع مقتضب، فامتنع الفقيه وأبي أن يقبل غير الدينارين اللذين كانا له في الأيام الأفضلية. وصار المأمون يستدعيه في يومي راحته، ويبالغ في كرامته، ويقضي شفاعاته.

وكان السبب في حضوره أنه تكلم في الأيام الأفضلية في أمور المواريث وما يأخذه أمناء الحكم من أموال الأيتام، وهو ربع العشر، وأمر توريث الابنة النصف،." (٢)

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٢٨٧

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٨٨

"أخنس الأنف، منتشر المنخرين، كبير الشفتين. فأجلسه الصالح في **البادهنج**، وكان عمره إحدى عشرة سنة. ثم أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بذلة ساذجة خضراء، وهي لبس ولي العهد إذا حزن على من تقدمه، وقام وألبسه إياها.

وأخذوا في تجهيز الفائز؛ فلما أخرج تابوته صلى عليه وحمل إلى التربة. وأخذ الصالح بيد عبد الله وأجلسه إلى جانبه، وأمر أن تحمل إليه ثياب الخلافة، فألبسها؛ وبايعه، ثم بايعه الناس؛ ونعته بالعاضد لدين الله. وذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين. وأبوه أحد الأخوين اللذين قتلهما الوزير عباس. ولما بويع العاضد ركب وحملت على رأسه المظلة؛ وركب الصالح بين يديه، وخرج من التربة قاصداً قصره. وكانت عادة الخلفاء أنه إذا ورد البشير إلى أخص أهل من يبايع يعطى ألف دينار؛ فلما بويع العاضد حضر المبشر إلى عمته فأعطته نزراً، فلما راجعها في الزيادة أبت عليه؛ فسئلت في السبب فقالت: هذا قاطع الخلفاء. وهكذا كان.

واستقر العاضد اسماً والصالح معنىً، فتمكن وقويت حرمته، واستولى على الدولة وتمكن منها، ونقل جميع أموال القصر إلى دار الوزارة، وأساء السيرة باحتكار الغلات، فوقع الغلاء وارتفعت الأسعار؛ وأكثر من قتل أمراء الدولة.." (١)

"١٧٢ - ووقع أيضاً: مثلك من باع العلو بالانحطاط، وجليل المرتبة بالإسقاط، وساريك عند الاحتياط، أنك بالخمول ذو اغتباط.

١٧٣ - ووقع أيضاً: وليتك من عملي جليلاً، وكنت حقيراً قليلاً، مهنياً ذليلاً، حصراً كليلاً، فانصرف عليك اللعن طويلاً.

١٧٤ - كان لعمران بن حطان زوجة جليلة جميلة، حسنة الخلق والخلق، وكان هو قصيراً دميماً سي الخلق، فقالت له ذات يوم: اعلم أني وإياك في الجنة، قال: كيف ذاك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة.

١٧٥ - قال بعض الأطباء: إذا أخذ الترمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضح ذلك الماء على زرع لم يقربه الجراد.

١٧٦ - وقيل: النمل يهرب من دخان أصول الحنظل.

١٧٧ - ويقال: إذا زرع الخردل في نواحي زرع لم يقربه الدبا.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٤٤

١٧٨ – ويقال: إذا أخذ الأفيون والشونيز والباذروج وقرن الأيل وباذهنج وظلف المعز، وخلط ذلك ودق وعجن بخل حاذق ثم قطع قطعاً ودخن بقطعة خرب الهوام والحيات والعقارب والنمل.." (١)

"ونار فحم ذي منظر عجب ... يطرد عنه الشرار باللهب

كأنما النار مبرد جعلت ... تبرد منه برادة الذهب

وقوله في فتى بارد:

أتيت إليه في قيظٍ شديد ... فحياني محياه بثلج

فقلت: عدمت عندي بادهنجا ... ولكن وجه هذا بادهنجي

وقوله في بخيل:

أتيته زائراً حدثه ... ولست في ماله بذي طمع

فظن أني أتيت أسأله ... فكاد يقضي من شدة الجزع

وقوله في النرجس، وقد أتى فيه بأربع تشبيهات:

أريد لأشفي سقم قلبي بنرجس ... فيذبل إن صافحته بتنفسي

له مقلة كالتبر، والجفن فضة ... وقدّ كغصن البان، في ثوب سندس

وقوله في ذم مغن:

غنى ... وإن كان مقيتاً

فلا

ينسبه الله إلى المقت

من حم فلينظر إلى وجهه ... فإنه يبرد في الوقت

وقوله:

لا تصل من صدتيها ... أبداً واستغن عنه

كن كمثل الكرم يعلق ... بالذي يقرب منه

وقوله:

يحب بنو آدم ربهم ... ولكنهم بعد يعضونه

وإبليس قد أشربوا بغضه ... وهم بعد ذاك يطيعونه

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥/٥٤

فهذا التنافي فما بالهم ... يرون الضلال ويأتونه؟

وقوله في الشيب:

أرى عيني إذا ثقلت مشيباً ... يكون لها انقباض وانخفاض

كأن العين تشفق أن تراه ... مخافة أن يحل بها البياض

وقوله:

سلونا حبه لما جفانا ... وكان بموضع منا شريف

كمثل الزهر تكرمه طريا ... ويطرح إن تغير في الكنيف

وقوله:

إن أنت لم يحتج إليك الورى ... كنت بهم في تعب متعب

ألا ترى الماء إذا لم يكن ... شاربه عطشان لم يشرب

وقوله:

احذر صديقك إنه ... يخفى عليك ولا يبين

إن العدو مبارز ... لك والصديق هو الكمين

وقوله في راقصة:

راقصة كالغصن من فوقه ... بدرٌ منيرٌ تحت ظلماء

تلهب مثل النار في رقصها ... وهي من النعمة كالماء

كأنما في رجلها عودها ... وزامرٌ يتبع بالناء

ساحرة الرقص غلامية ... منها دوائي وبها دائي

إذا بدت ترقص ما بيننا ... يرقص قلبي بين أحشائي

وقوله في العذار:

عذاره في خده إنه ... سبحان ربي الخالق الباري

معجزة ... يا قوم

ما مثلها

هل ينبت الآس على النار؟

وقوله فيه:

قلت لما كثر الشع ... ر عليه عاشقيه
أحرقت فضة خدي ... هـ فغالى الناس فيه
وقوله فيه:
كأنما عذاره ... والخد منه الأحمر
غلالة ورديةٌ ... فيها طراز أخضر
وقوله في مجدور:
جدر فازدادت مداجاته ... ونحن في الحب له زدنا
وكان كالفضة ما نقشت ... فزادها أن نقشت حسنا
وقوله في العذار أيضاً:
يقول لي الآس قل لي: ... علام تكثر لثمي؟
فقلت: أشبهت عندي ... عذار من لا أسمي!
وقوله:
يخص البعيد بإحسانه ... وذو القرب من سيبه مخفق
كمثل العيون ترى ما نأى ... وليست ترى ما بها يلصق
وقوله:
لا تنكري أخلاقي الخارجه ... واختبري أخلاقي الوالجة
فالمسك ما في الطيب شبهٌ له ... وإنما كسوته نافجه
وقوله في ذم مغن:
ومغن لو تغنى ... لك صوتين لمتا
سمج الخلقة غث ... ينحت الآذان نحتا
ويغني ما اشتهاه ... لا يغني ما أردتا
كلما قال: اقترح، قل ... ت: اقتراحي لو سكتا
وقوله في مثله:
غنى كمن قد صاح في خابيه ... لا وهب الله له العافية
ما أحد يسمعه مرةً ... فيشتهي يسمعه ثانيه

وقوله في مثله:

ومغن نحن منه ... بين أسقام وكربه

يضرب العود ولكن ... ضربه يوجب ضربه

وقوله في مثله:

ومغن قد لقينا ... منه كرباً وبلاءً

هو من برد غناه ... يجعل الصيف شتاءً

وقوله في مثله:

يغني فنهوى انسداد الصماخ ... ونبصره فنحب العمى

دعاء رجال إلى عرسهم ... فصير عرسهم مأتما

وقوله في مثله:

لنا مغن غناه ... يعود شرا عليه

لم يأت منزل قوم ... فعاد قط إليه

وقوله في العذار:

لما رأيت عذارا ... له خلعت عذاري." (١)

"فَوَقع الصياح فِي لَيْلَة الْأَرْبَعَاء بربع الْملك الظَّاهِر خَارج بَاب زويلة وبقيسارية الْفُقَرَاء وهبت الرِّيَاح مَعَ ذَلِك. فَركب الْحجاب والوالي وَعمِلُوا فِي طفيها إِلَى بعد الظّهْر من يَوْم الْأَرْبَعَاء وهدموا دوراً كَثِيرَة مِمَّا حوله. فَمَا كَاد أَن يفرغ الْعَمَل من إطفاء النَّار حَتَّى وَقعت النَّار فِي بَيت الْأَمِير سلار بِخَط القصرين فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ وَإِذا بالنَّار ابتدأت من أعلا **البادهنج** وَكَانَ ارتفاعه من الأَرْض زِيَادَة على مائَة ذِرَاع بِذِرَاع الْعَمَل وَرَأَوا فِيهِ نفطاً قد عمل فِيهِ فَتِيلَة كَبِيرَة فمازالوا بالنَّار حَتَّى أطفئت من غير أَن يكون لَهَا أثر كَبِير. وَنُودِيَ بِأَن يعْمل بِجَانِب كل حَانُوت بالقاهره ومصر زير وَدَن ملآن مَاء وَكَذَلِكَ بِسَائِر الحارات والأزقة فَبلغ ثمن كل دن من ثَلَاثَة دَرَاهِم إِلَى خَمْسَة وكل زير إِلَى ثَمَانِيَة دَرَاهِم لِكَثْرَة طلبهَا. فَلَمَّا كَانَت لَيْلَة الْخَمِيس: وَقع الْحَرِيق بحارة الرّوم وبخارج الْقَاهِرَة وَتَمَادَى الْحَال كَذَلِك وَلَا تَخْلُو سَاعَة من وُقُوع الْحَرِيق بِموضع من الْقَاهِرَة ومصر وَامْتنع وَالِي الْقَاهِرَة والأمير بيبرس الْحَاجِب من النّوم. فشاع بَين النَّاس أَن الْحَرِيق من جِهَة النَّصَارَى لما أنكاهم هدم الْكَنَائِس ونهبها وَصَارَت النيران تُوجد تَارَة فِي مَنَابِر الْجَوَامِع وَتارَة فِي حيطان الْمدَارِس والمساجد. ووجدت

---

(١) الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ابن القَطَّاع الصقلي ص/٢٨

النَّار بِالْمَدْرَسَةِ المنصورية فَزَاد قلق النَّاس وَكثر خوفهم وَزَاد استعدادهم بادخار الْآلَات المملوءة مَاء فِي أسطحة الدّور وَغَيرهَا. وَأكْثر مَا كَانَت النَّار تُوجد فِي الْعُلُوّ فَتَقَع فِي زروب الأسطحة فَلَمَّا كَانَت لَيْلَة الْجُمُعَة حادي عشريه: قبض على راهبين خرجا من الْمدرسَة الكهارية بِالْقَاهِرَةِ وَقد أرميا النَّار وأحضرا إِلَى الْأَمِير علم الدّين سنجر الخازن وَالِي الْقَاهِرَة فشم مِنْهُمَا رَائِحَة الكبريت وَالزَّيْت فأحضرهما من الْغَد إِلَى السُّلْطَان فَأمر بعقوبتهما حَتَّى يعترفا. فَلَمَّا نزل الْأَمِير علم الدّين بهما وجد الْعَامَّة قد قبضت على نَصْرَانِيّ من دَاخل بَاب جَامع الظَّاهِر بالحسينية وَمَعَهُ كعكة خرق بهَا نفط وقطران وَقد وَضعهَا بِجَانِب الْمِنْبَر فَلَمَّا فاح الدُّخان وأنكروه وجد النَّصْرَانِي وَهُوَ خَارج والأثر فِي يَدَيْهِ فَعُوقِبَ قبل صَاحِبيهِ. فاعترف النَّصْرَانِي أَن جمَاعَة من النَّصَارَى قد اجْتَمعُوا وَعمِلُوا النفط وفرقوه على جمَاعَة ليدوروا بِهِ على الْمَوَاضِع. ثمَّ عاقب الْأَمِير علم الدّين الراهبين فأقرا أَنَّهُمَا من دير الْبَغْل وأنهما هما اللَّذَان أحرقا سَائِر الْأَمَاكِن الَّتِي تقدم." (١)

"فِي أَمر السُّلْطَان والقائمين بالدولة وَنُودِيَ بِالْقَاهِرَةِ ومصر على السُّلْطَان وتوعد من أخفاه فاضطرب النَّاس وَبَاتُوا لَيْلَة الْإِثْنَيْنِ على تخوف وقلق شَدِيد فَلَمَّا طلع نَهَار الْإِثْنَيْنِ قبض على مُحَمَّد بن عِيسَى وَسُئِلَ عَن السُّلْطَان فَذكر أَن آخر علمه بِهِ أَنه فَارق الْأُمَرَاء وَمضى هُوَ ويلبغا الناصرى. وَأما السُّلْطَان فَإِنَّهُ لما أَخذ نَحْو الْجَبَل وَمَعَهُ الناصري قعد لحَاجَة وَإِذا بِالْخَيْلِ قد أَتَت إِلَى قبَّة النَّصْر فِي طلبه فاختفي هُوَ والناصرى حَتَّى جنهما اللَّيْل فَخرج بِهِ الناصري وَسَار إِلَى بَيت أستاداره فآواهما وحدثهما بِقِيَام المماليك وَمَا كَانَ مِنْهُم وَذبح الْأُمَرَاء فَاشْتَدَّ خوف السُّلْطَان وَخرج من ليلته. بمفرده من بَيت أستادار الناصري وَقصد بَيت آمِنَة امْرَأَة المشتولى بحارة المحمودية من الْقَاهِرَة وَبَات عِنْدهَا بَقِيَّة لَيْلَة الْإِثْنَيْنِ وَأصْبح كَذَلِك إِلَى أخر النَّهَار فمضت امْرَأَة وأعلمت القائمين بالدولة بمكانه فركب الْأَمِير قرطاى فِي عدَّة وافرة وَأتوا بَيت أَمِنَة وقبضوا عَلَيْهَا وأرهبوها فَأَشَارَتْ إِلَى بادهنج الْبَيْت فوجدوا السُّلْطَان قد لبس ثِيَاب النِّسَاء واختفي فِيهِ فَأَخَذُوهُ وألبسوه سِلَاحا وستروا وَجهه وَخرجُوا بِهِ من بَاب سَعَادَة أحد أَبْوَاب الْقَاهِرَة حَتَّى صعدوا بِهِ قلعة الْجَبَل فتسلمه الْأَمِير أينبك وعاقبه حَتَّى دلهم على ذخائره وجمعوا بَينه وَبَين نَاظر الْخَاص شمس الدّين المقسى حَتَّى تحاققا على الذَّخَائِر وأعادوه إِلَى دَاره ثمَّ استدعوا بِالْقَاضِي صدر الدّين مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم المناوى - أحد خلفاء الحكم - فِي يَوْم الثُّلَاثَاء سادسه وأرادوه أَن يثبت وَصِيَّة الْملك الْأَشْرَف فَقَالَ: لابد من إِثْبَات وَفَاته فَدخل إِلَيْهِ مَمْلُوك مِنْهُم اسْمه جركس السيفي - من مماليك ألجاى اليوسفي - وخنقه ثمَّ أدخلُوا إِلَيْهِ جمَاعَة حَتَّى عاينوه مَيتا وعادوا إِلَى القاضى فَشَهِدُوا عِنْده. بِمَوْتِهِ وَأَنه أوصى الْأَمِير عز الدّين أينبك ثمَّ أنعم على جركس هَذَا بإمرة عشرَة وَاسْتقر

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤١/٣

شاد العماير جَزَاء لَهُ. بِمَا فعله من خنق السُّلْطَان ثمَّ أخذت جثة الْأَشْرَف وَوضعت فِي قفة وخيط عَلَيْهَا بلاس شعر أسود وألقيت فِي بِئْر آخر نَهَار الثُّلَاثَاء الْمَذْكُور فَلَمَّا مَضَت لَهُ أَيَّام ظهر نَتنه فَأخْرجهُ جيران تِلْكَ الْبِئْر فعرفوه ودفنوه بالكيمان الَّتِي بِجَانِب مشْهد السيدة نفيسة فَأتى بعض خدام السُّلْطَان لَيْلًا وَأخرجه من قَبره وَحمله إِلَى تربة أمه خوند بركَة من التبانة وغسله وكفنه وَصلى عَلَيْهِ وَدَفنه بالقبة الَّتِي بهَا. ومولده فِي سنة أَربع وَخمسين وَمُدَّة سلطنته أَربع عشرَة سنة وشهرين وَخَمْسَة عشر." (١)

"لَقَد سُرَّسِرٌّ الدَّرْجِ لَمَّا حَلَلْتَهُ ... ولِمْ لاَ ومِنْ مَرْآكَ قد فاز بالوَصْلِ

٤١٩ - أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، الإمام

الأديب، أبو العباس، شهاب الدين

الشهير بابن أبي حجلة

ذكره ابن حجر، في " إنباء لغمر "، فقال: ولد بزاوية جده بتلمسان، سنة خمس وعشرين وسبعمائة، واشتغل. ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل " المقامات "، وغيرها.

وكان حنفي المذهب، حنبلي المعتقد، وكان كثير الحط على الاتحادية، وصنف "كتاباً " عارض قصائد ابن الفارض بقصائد كلها نبوية، وكان يحط عليه، لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويحط على نحلته ويرميه، ومن يقول بمقالته، بالعظائم، وقد امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي.

قال، أعني ابن حجر: قرأت بخط ابن القطان، وأجازنيه: كان ابن أبي حجلة يبالغ في الحط على ابن الفارض، حتى إنه أمر عند موته، فيما أخبرني به صاحبه أبو زيد المغربي، أن يوضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض، وحط عليه فيه، في نعشه، ويدفن معه في قبره، ففعل به ذلك.

وقال: وكان يقول للشافعية: إنه شافعي. وللحنفية: إنه حنفي. وللمحدثين: إنه على طريقتهم.

قال: وكان بارعاً في الشعر، مع أنه لا يحسن العروض، وعارض " المقامات " فأنكروا عليه.

وكان كثير العشرة للظلمة، ومدمني الخمر.

قال: وكان جده من الصالحين، فأخبرني الشيخ شمس الدين بن مرزوق، أنه سُمي بأبي حجلة، لأن حجلة أتت إليه، وباضت على كمه.

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١٣/٥

وولي مشيخة الصهريج الذي بناه منجك.

وكان كثير النوادر، والنكت، ومكارم الأخلاق.

ومن نوادره، أنه لقب ولده جناح الدين.

وجمع مجاميع حسنة؛ منها " ديوان الصبابة "، و " منطق الطير "، و " السجع الجليل، فيما جرى من النيل "، و " السكردان "، و " الأدب الغض "، و " أطيب الطيب "، و " مواصيل المقاطيع "، و " النعمة الشاملة، في العشرة الكاملة "، و " حاطب ليل " عمله: ك " التذكرة " في مجلدات كثيرة، و " نحر أعداء البحر "، و " عنوان السعادة، ودليل الموت على الشهادة "، و " قصيرات الحجال "، وغير ذلك.

وهو القائل:

نظمي عَلاَ وأَصْبَحَتْ ... ألفاظه مُنَمَّقَهْ

فكلُّ بيتٍ قلتهُ ... في سطحِ داري طَبَقَهْ

ومن شعره أيضاً:

الطَّرْفُ مِنْ فَقْدِ الكَرَى ... يَشْكُو الأَسَى إلَيهِ

والخَدُّ من فَرْطِ البُكَا ... يا ما جَرَى عليْهِ

ومنه في صيرفي:

يا سائِلاً عن حالتي ما حالُ مَنْ ... أمسى بعيدَ النَدارِ فاقدَ إلْفِهِ

بي صَيْرَفِيٌّ لا يَرِقُّ لِحالَتِي ... قد مُتُّ مِن جُورِ الزمانِ وَصَرْفِهِ

ومنه في بادهنج:

وبادَهَنْجٍ لا خَلَتْ ... دِيارُنا مِن حِسِهِ

كأَنَّهُ متيَّمٌ ... يلقَى الهوى بتَفْسِهِ

ومنه أيضاً:

يا بَادَ هَنْجِي لا بَرِحْتَ من الهوى ... مِثلي على حُبِّ الديارِ مُوَلَّها

داري بحُبِّك لم تزلْ مَعْشُوقةً ... خُلِقَتْ هواك كما خُلِقْتَ هَوى لها

ومنه أيضاً، مضمناً أيضاً:

هَجا الشعراء جَهْلاً بادَهَنْجِي ... لأن نسميه أبداً عَلِيلُ

فقال البَادَهَنْجُ وقد هَجُوْهُ ... إذا صحَّ الهوى دَعْهُم يقُولُوا

ومنه أيضاً في شاذروان:

وَشَاذَرْوان ماءٍ باتَ يَجْرِي ... كَعَيْنِ الصَّبِّ رُوِّعَ يومَ بَيْنِ

إذا ما قيل جُدْ بالْما سرِيعاً ... يقول: نَعَمْ علَى رأسي وعَيْني

وقال، مضمناً:

قُل للهلال وغَيْمُ الأُفقِ يَسْتُرُهُ ... حكيتَ طَلْعةَ مَن أهواهُ بالْبَلَجِ

لَكَ البِشارةُ فاخلعْ ما عليك فقدْ ... ذُكِرْتَ ثمَّ على ما فيك من عوجِ

وله أيضاً:

قالت وقد أنكرت سقامي ... لم أر ذا السقْمَ يومَ بَيْنِكْ

لكِنْ أصابك عينُ غَيْري ... فقلتُ لا عَيْنَ بعدَ عَيْنِكْ

وله أيضاً:

أَمُعَطِّلَ الكاسَاتِ عن عُشاقِها ... يكفيكَ بالتعطيل عَيْباً عائِباً." (١)

"قضى ليلته مُعَلّقا فِي بادهنج

وَيُشبه هَذَا الحَدِيث، ويقاربه، وَإِن لم يكن فِي الْحَقِيقَة من بَاب من خرج من حبس، إِلَّا أَنه من أَخْبَار الْفرج فِي الْجُمْلَة، مَا حَدثنِي بِهِ أَبُو عَليّ الْحسن بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَى الْأَنْبَارِي الْكَاتِب، صهر أبي مُحَمَّد المهلبي الْوَزير، قَالَ: سَمِعت دلويه، كَاتب صافي الحرمي، يتحدث، قَالَ: كَانَ فِي دَار المقتدر بِاللَّه، عريف على بعض الفراشين، يخدمني وصافيا إِذا أَقَمْنَا فِي دَار الْخَلِيفَة، ففَقَدته فِي الدَّار، وظننته عليلا، فَلَمَّا كَانَ بعد شهور، رَأَيْته فِي بعض الطّرق، بزِي التُّجَّار، وَقد شَاب.

فَقلت: فلَان؟ قَالَ: نعم، عَبدك يَا سَيِّدي.

فَقلت: مَا هَذَا الشيب فِي هَذِه الشُّهُور الْيَسِيرَة، وَمَا هَذَا الزي؟ وَأَيْنَ كنت؟ فلجلج.

فَقلت لغلماني: احملوه إِلَى دَاري، وَقلت: حَدثنِي حَدِيثك.." (٢)

"فَقَالَ: على أَن لي الْأمان والكتمان.

فَقلت: نعم.

فَقَالَ: كَانَ الرَّسْم الَّذِي تعرفه على كل عريف فِي الدَّار من الفراشين، أَن يدْخل يَوْمًا من الْأَيَّام، هُوَ وَمن مَعَه

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/١٥٨

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٣٧/٢

فِي عرافته، إِلَى دور الْحرم، لرش الخيوش الَّتِي فِيهَا.

فبلغت النّوبَة إِلَيّ، فِي يَوْم كنت فِيهِ مخمورا، فَدخلت، وَمَعِي رجالي، إِلَى دَار فُلَانَة، وَذكر حظية جليلة من حظايا المقتدر بِاللَّه، لرش الخيش.

فلعظم مَا كنت فِيهِ من الْخمار، مَا رششت قربتي، وَلم أخرج بِخُرُوج الرِّجَال، وَقلت لَهُم: امضوا، فهاتوا قربكم لإتمام الرش، فَإِذا رششتموها فأنبهوني، فَإِنِّي نَائِم هُنَا.

وَدخلت خلف الخيش، إِلَى بَاب **بادهنج** تخرج مِنْهُ ريح طيبَة، فنمت،." (١)

"وَغلب عَليّ النّوم، إِلَى أَن جَاءَ الفراشون، وفرغوا من رش الخيش، وَخرجُوا وَلم ينبهوني.

وَتَمَادَى بِي النّوم، فَمَا انْتَبَهت إِلَّا بحركة فِي الخيش، فَقُمْت، فَإِذا أَنا قد أمسيت، وَإِذا صَوت نسَاء فِي الخيش، فَعلمت أَنِّي مقتول إِن أحس بِي، وتحيرت فَلم أدر مَا أعمل، فَدخلت **البادهنج**، وَكَانَ ضيقا، فَجعلت رجْلي على حائطي **البادهنج** وتسلقت فِيهِ، ووقفت مُعَلّقا، أترقب أَن يفْطن لي، فأقتل.

وَإِذا بنسوة فراشات يكنسن الخيش، فَلَمَّا فرغن من ذَلِك فرشنه، وعبي فِيهِ مجْلِس الشَّرَاب.

وَلم يكن بأسرع من أَن جَاءَ المقتدر بِاللَّه، وعدة جواري، فَجَلَسَ وجلسن وَأخذ الْجَوَارِي فِي الْغناء، وَأَنا أسمع ذَلِك كُله، وروحي تكَاد تخرج، فَإِذا أعييت، نزلت فَجَلَست فِي أَرض **البادهنج**، فَإِذا استرحت، وَخفت أَن يفْطن بِي، عدت فتسلقت، إِلَى أَن مَضَت قِطْعَة من اللَّيْل، ثمَّ عَن للمقتدر أَن جذب إِلَيْهِ حظيته الَّتِي هِيَ صَاحِبَة تِلْكَ الدَّار، فَانْصَرف بَاقِي الْجَوَارِي، وخلا الْموضع، فواقع المقتدر بِاللَّه الْجَارِيَة، وَأَنا أسمع حركتهما وكلامهما، ثمَّ نَامَا فِي مكانهما، وَلَا سَبِيل لي إِلَى النّوم لَحْظَة وَاحِدَة، لما أقاسي من الْخَوْف.

ففكرت فِي أَن أخرج وأصعد إِلَى بعض السطوح، ثمَّ علمت أَنِّي إِن فعلت ذَلِك، تعجلت الْقَتْل، وَلم يجز أَن أنجو.

فَلم تزل حَالي تِلْكَ إِلَى أَن انتبه المقتدر بِاللَّه فِي السحر، وَخرج من الْموضع.." (٢)

"فَلَمَّا كَانَ من غَد نصف النَّهَار، جَاءَ عريف آخر من الفراشين، وَمَعَهُ رِجَاله، فرشوا الخيش، فَخرجت فاختلطت بهم.

فَقَالُوا: أيش تعْمل هَهُنَا؟ فأومأت إِلَيْهِم بِالسُّكُوتِ، وَقلت: الله، الله، فِي دمي، فَإِن حَدِيثي طَوِيل، فتذمموا أَن يفضحوني.

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٣٨/٢

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ١٣٩/٢

وَقَالَ بَعضهم: مَا بَال لحيتك قد شابت؟ فَقلت: لَا أعلم، وَأخذت مَاء من قربَة بَعضهم، فرطبت بِهِ قربتي، وَخرجت بخروجهم.

فَلَمَّا صرت فِي مَوضِع من دَار الْخَلِيفَة، وَقعت مغشيا عَليّ، وركبتني حمى عَظِيمَة وَذهب عَقْلِي، فَحَمَلَنِي الفراشون إِلَى منزلي، وَأَنا لَا أَعقل، فأقمت مبرسما مُدَّة طَوِيلَة.

وَقد كنت عَاهَدت الله تَعَالَى، وَأَنا فِي **البادهنج**، إِن هُوَ خلصني، أَن لَا أخدم أحدا أبدا، وَلَا أشْرب النَّبِيذ، وأقلعت عَن أَشْيَاء تبت مِنْهَا.

فَلَمَّا تفضل الله تَعَالَى بالعافية، وفيت بِالنذرِ، وبعت أَشْيَاء كَانَت لي، وضممتها إِلَى دَرَاهِم كَانَت عِنْدِي، ولزمت دكانا لحميي أتعلم فِيهِ التِّجَارَة مَعَه، وأتجر، وَتركت الدَّار، فَمَا عدت إِلَيْهَا إِلَى الْآن، وَلَا أَعُود أبدا إِلَى خدمَة النَّاس، وَلَا أنقض مَا تبت مِنْهُ.

قَالَ: وَرَأَيْت لحيته وَقد كثر فِيهَا الشيب.." (١)

"فذراها سربي وطيبي سراها ... وسبيل المسيل وردي وزادي

كان فيها أنسي ومعراج قدسي ... ومقام المقام والفتح بادي

نقلتني عنها الحظوظ فجدت ... وارداتي ولم تدم أورادي

آه لو يسمح الزمان بعود ... فعسى أن تعود لي أعيادي

قسماً بالحطيم والركن والأستار ... والمروتين مسعى العباد

وظلال الجناب والحجر والميزاب ... والمستجار للقصاد

ما شممت البشام إلا وأهدى ... لفؤادي تحية من سعاد

ابن الخيمي

يا مطلباً ليس لي في غيره إرب ... إليك آل التقصي وانتهى الطلب

وما طمحت لمرىء أو لمستمع ... إلا لمعنى إلى علياك ينتسب

وما أراني أهلاً أن تواصلني ... حسبي علواً بأني فيك مكتئب

لكن ينازع شوقي تارة أدبي ... فأطلب الوصل لما يصعب الأدب

ولست أبرح في الحالين ذا قلق ... نام وشوق له في أضلعي لهب

ومدمع كلما كفكفت أدمعه ... صوناً لذكرك يعصيني وينسكب

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٢/١٤٠

والهف نفسي لو يجدي تلهفها ... عوناً وواحر باد لو ينفع الحرب

يمضي الزمان وأشواقي مضاعفة ... يا للرجال ولا وصل ولا سبب

يا بارقاً بأعالي الرقمتين بدا ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

أما خفوق فؤادي فهو عن سبب ... وعن خفوقك قل لي ما هو السبب؟

القيراطي في بادهنج

بنفسي أفدي بادهنجا موكلا ... باطفاء ما ألقاه من ألم الجوى إذا فتحت في الحر منه طرايق ... أتاني هواه

قبل أن أعرف الهوى

وله في موسوس

وموسوس عند الطهارة لم يزل ... بدا على الماء الكثير مواظبا

يستصغر النهر الكبير لذقنه ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

العرجي في الوداع." (١)

"يا طيب نفحة باذهنج لم يزل ... لهواه في ناموسنا تنفيس

مغرى بجذب الريح من آفاقها ... فكأنه للريح مغناطيس

وقال أيضا: [الكامل]

يا حسن شاذروان ماء لم يزل ... يهدي جواهره إلى الأضياف

ما أمّه الجلساء يوم سرورهم ... إلا تلقاهم بقلب صاف

وقال أيضا: [المتقارب]

بروحي بدر رأى حسنه ... عذولي فولّى بخفّي حنين

أبو شامة لاح في خدّه ... فرحت أطالع في الروضتين

وقال أيضا: [البسيط]

لا تدع يا صاح صوفيا سوى رجل ... بما حوى من صفات المدح موصوف

صوفي فسماه صوفي كل ذي نظر ... نقلا من الفعل لا عزوا إلى الصوف [١]

وقال أيضا أحجية في قمقم [٢] : [مجزوء الرجز]

يا من بنا علياؤه ... وعلمه ليس ينقض [٣]

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٨٠

ما مثل قول المحاجي ... لمن يحاجي: انهض انهض

وقال أيضا: [مجزوء الرجز]

مطاف بيت الله كم ... لعامل فيه عمل

يا حبذا من حوله ... دائرة فيها الرمل

وقال أيضا: [الوافر]

أشيخ الوقت آدابا وعلما ... ومن أقواله أبدا مفيده

أجلّك ثعلب أن كنت ليثا ... كذا ابن السّيد أيضا وابن سيده [٤]

---

[١] في الأصل، ب، ل: (صوفي فسماه صوفيا كل ذي نظر) . ولا يستقيم به الوزن، ويستقيم بحذف التنوين من (صوفيا) كما في نسخة ش.

[٢] في ب: في أحجية. وقوله: (في قمقم) ساقطة من ش.

[٣] في ش: وعلمه لا ينقض.

[٤] ثعلب: أحمد بن يحيى، أبو العباس، إمام مدرسة الكوفة في النحو واللغة، له: مجالس ثعلب، والفصيح، توفي ببغداد ٢٩١ هـ. (بغية الوعاة ١/٣٩٦) . ابن السيد: عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، من علماء الأندلس باللغة والأدب، له: شرح أدب الكاتب، وشرح الموطأ، توفي سنة ٥٢١ هـ. (بغية الوعاة ٢/٥٥، المغرب ٣٨٥١) ابن سيده: علي بن إسماعيل، أبو الحسن، من علماء الأندلس باللغة والأدب، كان ضريرا، له: المخصص، والمحكم، توفي سنة ٤٥٨ هـ. (وفيات الأعيان ٣/٧١)." (١)

"يأمن الأشرف على نفسه في هذا المكان، فتوجه منه في الليل واختفى عند امرأة تسمى آمنة زوجة المشتولى، فاختفى عندها، فنَّمت عليه امرأة أخرى إلى الأمراء وقالت لهم: السلطان مختفي عند فلانة في الجودرية، فتوجه معها ألطنبغا السلطاني ومعه جماعة وكبسوا بيت آمنة المذكورة. فهرب الملك الأشرف، واختفى **بالباذهنج**، فطلعوا إليه فوجدوه هناك وعليه قماش النساء، فمسكوه وألبسوه عدة الحرب، وأحضروه إلى القلعة، فتسلمه أينبك البدري وقرره على الذخائر، فأخبره بذلك بعد أن ضربه أينبك تحت رجليه بالعصى، ثم خنقوه. والذي تولى خنقه جاركس شاد عمائر ألجاي اليوسفي، فأعطي جاركس المذكور إمرة عشرة وجعل شاد العمائر السلطانية. ثم وضعوا الأشرف في قفة وخيطوا عليه بلاساً، وأرمى في بئر، فأقام بها أياماً إلى أن

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٧٣

ظهرت رائحته، فأخرجوه من البئر، وأخذه بعض خدامه ودفنه عند كيمان السيدة نفيسة، ثم نقل إلى تربة والدته خوند بركة، بعد أن غسل وكفن وصلي عليه، ودفن بقبة وحده، وقيل في موته غير ذلك، والصحيح ما حكيناه.

وكانت موتته في ليلة الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وتسلطن من بعده ابنه الملك المنصور علي، المتقدم ذكره.." (١)

"ما حلي به الستر الذي أنشأه سيد الوزراء أبو محمد البازوري من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال، وإنه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه، وذكر أن في الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا، وعشرين ألف درهم مخرّقة، وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه، وأن في الشمسية التي لم تتمّ من الذهب سبعة عشر ألف مثقال.

وقال المرتضى أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهريّ القيسرانيّ: الكاتب المصريّ في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية، الفصل العاشر في ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجلس الملك، ولا يتعدّى ذلك يومي الاثنين والخميس، ومن كان أقرب الناس إليهم، ولهم خدم لا تخرج عنهم، وينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين، وليس على التوالي بل على التفاريق، فإذا تهيأ ذلك في يوم من هذه الأيام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد في سرعة الحركة، فيركب في أبهته، وجماعته على الترتيب المقدّم ذكره يعني في ذكر الركوب أوّل العام، وسيأتي إن شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب، فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهليز العمود إلى مقطع الوزارة، وبين يديه أجلاء أهل الإمارة، كل ذلك بقاعة الذهب التي كان يسكنها السلطان بالقصر، وكان الجلوس قبل ذلك بالإيوان الكبير الذي هو خزائن السلاح في صدره على سير الملك، وهو باق في مكانه إلى الآن من هذا المكان إلى آخر أيام المستعلي، ثم إنّ الآمر نقل الجلوس في هذا المكان، واسمه مكتوب بأعلى **باذهنجه** «١» إلى اليوم، ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء، والدبيقيّ صيفا، وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج، وفرش الصيف مطابقا لستور الديبقيّ، ما بين طبري وطبرستاني مذهب معدوم المثل، وفي صدره:

المرتبة المؤهلة لجلوسه في هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبيّ، فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه، فإذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع إلى باب المجلس المذكور، وهو مغلق وعليه ستر،

---

(١) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ابن تغري بردي ٦/٢٤٦

فيقف بحذائه، وعن يمينه زمام القصر، وعن يساره زمام بيت المال، فإذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع أمين الملك مفلح أحد الأستاذين المحنكين «٢» الخواص الدواة مكانها من المرتبة، وخرج من المقطع الذي يقال له فردا لكم، فإذا الوزير واقف أمام باب المجلس، وحواليه الأمراء المطوّقون أرباب الخدم." (١)

"محرّر من ديوان الإنشاء يتضمن نص الخلافة من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم، فإذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين، فإذا قضيت الصلاة، قام الوزير إلى الشباك، فيخدم الخليفة، وينفض الناس بعد التهاني من الإسماعيلية بعضهم بعضا، وهو عندهم أعظم من عيد النحر، وينحر فيه أكثرهم.

قال: وكان الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد: لما سلم من يد أبي عليّ بن الأفضل الملقب كتيفات، لما وزر له، وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم، وهو السادس عشر من المحرّم من غير ركوب، ولا حركة بل إنّ الإيوان باق على فرشه، وتعليقه من يوم الغدير، فيفرش المجلس المحوّل اليوم في الإيوان الذي بابه خورنق.

وكان يقابل الإيوان الكبير الذي هو اليوم: خزائن السلاح، بأحسن فرش، وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه، فيجتمع أرباب الدولة سيفا وقلما، ويحضرون إلى الإيوان إلى باب الملك المجاور للشباك، فيخرج الخليفة راكبا إلى المجلس، فيترجل على بابه، وبين يديه الخواص، فيجلس على المرتبة، ويقفون بين يديه صفين إلى باب المجلس، ثم يجعل قدّامه كرسيّ الدعوة، وعليه غشاء قرقوبيّ، وحواليه الأمراء الأعيان، وأرباب الرتب، فيصعد قاضي القضاة، ويخرج من كمه كراسة مسطحة تتضمن فصولا، كالفرج بعد الشدّة بنظم مليح، يذكر فيه كل من أصابه من الأنبياء والصالحين والملوك شدّة، وفرّج الله عنه واحدا فواحدا، حتى يصل إلى الحافظ، وتكون هذه الكراسة محمولة من ديوان الإنشاء، فإذا تكاملت قراءتها، نزل عن المنبر، ودخل إلى الخليفة، ولا يكون عنده من الثياب أجلّ مما لبسه، ويكون قد حمل إلى القاضي قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة، ويوصل إليه بعد الخطابة خمسون دينارا.

وقال الأمير جمال الدين أبو عليّ موسى بن المأمون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار الطائحيّ في تاريخه، واستهل عيد الغدير يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة، وهاجر إلى باب الأجل يعني الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد، ومن انضمّ إليهم من العوالي، والأدوان على عادتهم في طلب الحلال، وتزويج الأيامى، وصار موسما يرصده كل أحد، ويرتقبه كل غنيّ وفقير، فجرى في معروفه على رسمه، وبالغ الشعراء في مدحه بذلك، ووصلت كسوة العيد المذكور، فحمل ما يختص بالخليفة والوزير، وأمر بتفرقة ما يختص بأزمّة

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٥٠

العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة، ومبلغ ما يختص بهم من العين سبعمائة وتسعون دينارا، ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة، والهيئة المختصة بهذا العيد، برسم كبراء الدولة، وشيوخها وأمرائها وضيوفها، والأستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير وإخوته، ويفرّق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا، وأمر بتعليق جميع أبواب القصور." (١)

"والديباج والمريش، وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان، وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقه، وأوتاده، وعمده، وسائر عدّته على عشرين بعيرا، ودون ذلك، وفوقه.

فالمسطح بيت مربع له أربع حيطان، وسقف بستة أعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج، والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها إلى الباب حائط مربع، وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم، وفيها أربعة أعمدة اثنان في الباب واثنان في وسطها، وكلما زادت زاد عمدها وسقفها، لها حدان مشروكان من الجانبين، والشراع حائط في الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أيّ موضع دارت الشمس حوّل إلى ناحية الشمس، والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تامّ، وشراع سابل خلفها من أيّ موضع دارت الشمس أدير، والقبة على حالها.

وحدّثني أبو الحسن عليّ بن الحسن الخيميّ قال: أخرجنا في جملة ما أخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدّت المطالبة على السلطان: فسطاطا كبيرا أكبر ما يكون يسمى: المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله: خمسة وستون ذراعا بالكبير، ودائر فلكته: عشرون ذراعا، وقطرها: ستة أذرع وثلثا ذراع، ودائره خمسمائة ذراع، وعدّة قطع خرقه: أربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل واحد يجمع بعضه إلى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب، يحمل خرقه وحباله، وعدّته على: مائة جمل، وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخل قضبان حديد من سائر نواحيها، تمتلىء ماء من راوية جمل قد صوّر في رفرفه كل صورة حيوان في الأرض، وكل عقد مليح، وشكل ظريف، وفيه **باذهنج** طوله: ثلاثون ذراعا. في أعلاه، كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازوري أمر بعمله أيام وزارته، فعمله الصناع، وعدّتهم: مائة وخمسون صانعا في مدّة تسع سنين، واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار، وكان عمله على مثال القاتول «١» الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته إلّا أن هذا أعلى عمودا منه، وأوسع، وأعظم، وأحسن، وكان الخليفة أنفذ إلى متملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما: سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع، والآخر حمله ناصر الدولة بن

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٢٥٧

حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله إلى الاسكندرية، وما أدري ما فعل به.
قال: وأقمنا مدّة طويلة في تفصيل بعضه من بعض، وتقطيعه خرقا وشققا قوّمت على المذكورين بأقل القيم، وتفرّق في الآفاق، وقال لي أيضا: أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجها من جانبيه، عمل بتنيس للعزيز بالله يسمى: دار البطيخ، وسطه بكنيس على ستة." (١)

"عود صيفيّ: ستون درهما، عنبر خام: ستة مثاقيل، كافور: ثمانية دراهم، زعفران شعر: عشرة دراهم، ماء ورد: خمسة عشر رطلا ومنها مقرّر الحلوى، والفستق، ومما استجدّ ما يعمل في الإيوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى: اثنا عشر جاما رطبة ويابسة نصفين وزن كل جام من الرطب: عشرة أرطال، ومن اليابس: ثمانية أرطال، ومقرّر الخشكنانج «١» والبسندود «٢» في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمريّ، والمأمونيّ: قنطار واحد سكر، ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكنانج وبسندود في قعبان وسلال صفصاف، ويحمل ثلثا ذلك إلى القصر والثلث إلى الدار المأمونية.
قال وجرت مفاوضة بين متولي بيت المال، ودار الفطرة بسبب الأصناف، ومن جملتها: الفستق، وقلة وجوده وتزايد سعره إلى أن بلغ رطل ونصف: بدينار، وقد وقف منه لأرباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه، فجاوبه متولي الديوان، بأن قال: ما تمّ موجب الإنفاق لما هو راتب من الديوان، وطالعا المقام العالي بأنه لما رسم لهما: ذكرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقرّ الإنفاق من قلب الفستق والذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق إدرارا مستقرّا بغير استدعاء، ولا توقيع مياومة، كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا، وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل: يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون، والمستخدمون بالإيوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنها: مائة وثمانية أرطال منها: رطب ستون رطلا، ويابس وغيره: ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته، منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالباذهنج «٣» ، والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما إلّا من كبرت منزلته، وعظمت وجاهته جامان رطبا ويابسا، وما يفرّق في العوالي من الموالي، والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات، وما يحمل إلى الدار المأمونية برسم المائدة بالداردون السماط: جام واحد.
تتمة المياومة المذكورة ما يتسلمه الشاهد، والمشارف على المطابخ الآمرية، مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى،

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣٠٨

وغيره مما يكون على المدورة في الأسمطة المستمرّة بقاعة الذهب في أيام السلام، وفي أيام الركوبات، وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرطال،." (١)

"الصلاة، وأنشدوا، وخرجوا على الشارع بجمعهم، وسبّوا السلف، فقبضوا على رجل، ونودي عليه: هذا جزاء من سب عائشة، وزوجها صلّى الله عليه وسلّم، وقدّم الرجل بعد النداء، وضرب عنقه.

وقال ابن المأمون: وفي يوم عاشوراء، يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبيء السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر، التي كان يسكنها الأفصل بن أمير الجيوش، وهو السماط المختص بعاشوراء، وهو يعبئ في غير المكان الجاري به العادة في الأعياد، ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم، والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس، وجميع الزبادي أجبان، وسلائط ومخللات، وجميع الخبز من شعير، وخرج الأفضل من باب فردالكم، وجلس على بساط صوف من غير مشورة، واستفتح المقرئون، واستدعى الأشراف على طبقاتهم، وحمل السماط لهم، وقد عمل في الصحن الأول الذي بين يدي الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود، ثم بعده عدس مصفى إلى آخر السماط، ثم رفع وقدّمت صحون جميعها عسل نحل.

ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب **الباذهنج** يعني من القصر بعد قتل الأفضل وعود الأسمطة إلى القصر على كرسيّ جريد بغير مخدّة متلثما هو وجميع حاشيته، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار، والصغار بالقيراميز، وأذن للقاضي، والداعي، والأشراف، والأمراء بالسلام عليه، وهم بغير مناديل ملثمون حفاة، وعبيء السماط في غير موضعه المعتاد، وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية، وتقدّم إلى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين، وخرج الرسم المطلق للمتصدّرين والقرّاء الخاص، والوعاظ، والشعراء، وغيرهم على ما جرت به عادتهم.

قال: وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة: اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضيّ فيها إلى التربة الجيوشية، وحضور جميع المتصدّرين، والوعاظ، وقرّاء القرآن إلى آخر الليل، وعوده إلى داره، واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك، وجلس الخليفة على الأرض متلثما يرى به الحزن، وحضر من شرف بالسلام عليه، والجلوس على السماط بما جرت به العادة.

قال ابن الطوير: إذا كان اليوم العاشر من المحرّم: احتجب الخليفة عن الناس فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة، والشهود، وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسينيّ، وكان قبل ذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣١٢/٢

يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه، ومن معهم من قرّاء الحضرة، والمتصدّرين في الجوامع جاء الوزير، فجلس صدرا، والقاضي والداعي من جانبيه، والقرّاء يقرءون نوبة بنوبة، وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا." (١)

"الديلم والمستخدمون في الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدّادين ويدورون بها حول الإيوان، ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الأستاذون، والمستخدمون في الركاب ويعلون بها إلى قريب من الشباك الذي فيه الخليفة، وكلما عرض دواب اصطبل قبل الأرض متوليه. وانصرف. وتقدّم متولي غيره على حكمه إلى أن يعرض جميع ما أحضروه، وهو ما يزيد على ألف فارس خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والحجور والمهارة، ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية، وعاد استفتاح المقرئين، وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم، مما يوافق الحال، مثل الآية من آل عمران: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ

إلى آخرها، ثم بعدها: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ

، إلى آخرها.

وعرضت الوحوش بالأجلة الديباج والديبقيّ بقباب الذهب، والمناطق، والأهلة وبعدها النجب، والبخاتي بالأقتاب الملبسة بالديبقيّ الملوّن المرقوم، وعرض السلاح، وآلات الموكب جميعها، ونصبت الكسوات على باب العيد، وضربت طول الليل وحملت الفطرة الخاص التي يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات بالمسك، والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التي يستخرج ما فيها، وتحشى بالطيب وغيره، وتسدّ، وتختم وسلمت للمستخدمين في القصور، وعبيت في مواعين الذهب المكللة بالجواهر، وخرجت الأعلام والبنود.

وركب المأمون، فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في مشاهدة السماط من سرير الملك إلى آخرها، وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج، وطلع إلى سرير ملكه، وبين يديه الصواني المقدّم ذكرها، واستدعى بالمأمون، فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام، وأمر بإحضار الأمراء المميزين والقاضي والداعي والضيوف، وسلم كل منهم على حكم ميزته، وقدمت الرسل، وشرّفوا بتقبيل الأرض والمقرئون يتلون، والمؤذنون يهللون ويكبرون، وكشفت القوّارات الشرب المذهبات، عما هو بين يدي الخليفة فبدأ وكبر، وأخذ بيده تمرة، فأفطر عليها، وناول مثلها الوزير، فأظهر الفطر عليها، وأخذ الخليفة في أن يستعمل من جميع ما حضر، ويناول وزيره منه، وهو يقبله ويجعله في كمه، وتقدّمت الأجلاء إخوة الوزير وأولاده من تحت السرير، وهو يناولهم من يده، فيجعلونه في أكمامهم بعد تقبيله، وأخذ كل من الحاضرين كذلك، ويومئ بالفطور ويجعله في كمه على سبيل البركة، فمن

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣٣٠

كان رأيه الفطور أفطر، ومن لم يكن رأيه أومأ، وجعله في كمه لا ينتقد على أحد فعله.

ثم قال المأمون بعد ذلك: ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف والميزة، ومدّ يده، وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عود نبات، وجعله في كمه بعد تقبيله، وأشار إلى الأمراء، فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأوا أكمامهم، ودخل الناس، فأخذوا جميع ذلك، ثم خرج الوزير إلى داره والجماعة في ركابه، فوجد التعبية فيها من." (١)

"ثم رفعت الستور، وجلس على المدورة والسماط من جرت العبادة به، وفرّقت الدنانير على المقرئين، والمنشدين والتحسارية والمنافقين، ومن هو معروف بكثرة الأكل، ونهبت قصور الخلافة، وفرّق من الأصناف ما جرت به العادة، وأرخيت الستور، وأحضر متولي خزانة الكسوة الخاص للخليفة: بدلة إلى أعلى السرير حسبما كان أمره، فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ في شكره، والثناء عليه، وتوجه إلى داره، فوصل إليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معبأة على ما كانت بين يديه، وغيرها من الموائد، وكذلك إلى أولاده وإخوته صينية صينية، ولكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا، وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد، والخلع وبما جرى في صعود المنبر، وحضر الشعراء، وأسنيت لهم الجوائز، وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة، وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء، والكتاب، ومقدّمي الركاب والمتصدّرين بالجوامع، والفقهاء، والقاهريين، والمصريين، واليهود برئيسهم، والنصارى ببطريقهم على ما جرت به عادتهم، وختم المقرئون، وقدمت الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم وجدّد لكل من الحاضرين سلامه، وانكفأ الخليفة إلى **الباذهنج** لأداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائدة الخاص، واستحضر المأمون، وأولاده وإخوته على عادتهم، واستدعى من شرّف بحضور المائدة، وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست، وأبو الرضى سالم ابنه، ومتولى حجبة الباب، وظهير الدين الكنانيّ على ما كان عليه الحال قبل الصيام، وانقضى حكم العيد.

وقال ابن الطوير: إذا قرب آخر العشر الآخر من شهر رمضان خرج الزي من أماكنه، على ما وصفنا في ركوب أوّل العام، ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها، ويركب في مستهلّ شوّال بعد تمام شهر رمضان، وعدّته عندهم أبدا ثلاثون يوما، فإذا تهيأت الأمور من الخليفة، والوزير والأمراء، وأرباب الرتب على ما تقدّم، وصار الوزير بجماعته إلى باب القصر، ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة والآلات المقدّم ذكرها، ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة، وهي أجل لباسهم، والمظلة كذلك، فإنها أبدا تابعة لثيابه كيف

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣٦٩

كانت الثياب، ويكون خروجه من باب العيد إلى المصلى، والزيادة ظاهرة في هذا اليوم في العساكر، وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر إلى باب المصلى، ويكون صاحب بيت المال قد تقدّم على الرسم، لفرش المصلى، فيفرش الطرّاحات على رسمها في المحراب مطابقة، ويعلق سترين يمنة ويسرة في الأيمن: البسملة والفاتحة، وسبح اسم ربك الأعلى، وفي الأيسر: مثل ذلك، وهل أتاك حديث الغاشية، ثم يركز في جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة، وهما مستوران مرخيان، فيدخل الخليفة من شرقيّ المصلى إلى مكان يستريح فيه دقيقة، ثم يخرج محفوظا، كما يحفظ في جامع القاهرة، فيصير إلى المحراب، ويصلي صلاة العيد." (١)

"القطائف، جرار الجلاب برسمهم، فأكلوا، وملأوا أكمامهم، وفضل عنهم ما تخطفه الفرّاشون، ثم جلس الخليفة في السدلا التي كان بها عند الفطور، وبين يديه المائدة معبأة جميعها من جميع الحيوان وغيره، والقعبة «١» الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة، وحضر الجلساء، واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه، وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة، فيفرّق الفرّاشون عليهم أجمعين وكل من تناول شيئا قام، وقبل الأرض، وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده، وأهله لأنّ ذلك كان مستفاضا عندهم غير معيب على فاعله، ثم قدّمت الصحون الصينيّ مملوءة قطائف، فأخذ منها الجماعة الكفاية.

وقام الخليفة، وجلس بالباذهنج، وبين يديه السحورات المطيبات من لبئين رطب ومخض، وعدّة أنواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم، وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا، وحضر الجلساء، وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض، والسؤال بما ينعم عليه منه، فتناوله المستخدمون، والأستاذون وفرّقوه، فأخذه القوم في أكمامهم، ثم سلم الجميع وانصرفوا.

ومنها الختم في آخر رمضان: وكان يعمل في التاسع والعشرين منه.

قال ابن المأمون: ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان، خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقرّ للمقرئين، والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر، وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للفطور مع الخليفة، والحضور على الأسمطة على العادة، وحضر إخوته، وعمومته، وجميع الجلساء، وحضر المقرئون، والمؤذنون، وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن، وحمل من عند معظم الجهات، والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاجي «٢» ، وموكبيات مملوءة ملفوفة في عراضي «٣» ديبقيّ، وجعلها أمام المذكورين، لتشملها بركة ختم القرآن الكريم، واستفتح المقرئون من الحمد إلى خاتمة القرآن تلاوة

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٣٧٣

وتطريبا، ثم وقف بعد ذلك من خطب، فأسمع ودعا، فأبلغ ورفع الفرّاشون ما أعدّوه برسم الجهات، ثم كبر المؤذنون، وهللوا وأخذوا في الصوفيات إلى أن نثر عليهم من الروشن دنانير، ودراهم ورباعيات، وقدّمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود، والحلواء فجروا على عادتهم، وملأوا أكمامهم، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة، بخلع خلعها على الخطيب، وغيره ودراهم تفرّق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين.." (١)

"جمادى الأولى، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كلّ ناحية حتى وصلت إلى بيت كريم الدين، وبلغ ذلك السلطان فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية، وسيّر طائفة من الأمراء لإطفائه، فجمعوا الناس لإطفائه وتكاثروا عليه وقد عظم الخطب من ليلة الاثنين إلى ليلة الثلاثاء، فتزايد الحال في اشتعال النار وعجز الأمراء والناس عن إطفائها لكثرة انتشارها في الأماكن وقوّة الريح التي ألقت باسقات النخل، وغرّقت المراكب، فلم يشكّ الناس في حريق القاهرة كلّها، وصعدوا المآذن، وبرز الفقراء وأهل الخير والصلاح وضجوا بالتكبير والدعاء، وجأروا وكثر صراخ الناس وبكاؤهم، وصعد السلطان إلى أعلى القصر فلم يتمالك الوقوف من شدّة الريح، واستمرّ الحريق والاستحثاث يرد على الأمراء من السلطان في إطفائه إلى يوم الثلاثاء، فنزل نائب السلطان ومعه جميع الأمراء وسائر السقائين، ونزل الأمير بكتمر الساقي، فكان يوما عظيما لم ير الناس أعظم منه ولا أشدّ هولا، ووكل بأبواب القاهرة من يردّ السقائين إذا خرجوا من القاهرة لأجل إطفاء النار، فلم يبق أحد من سقائي الأمراء وسقائي البلد إلّا وعمل، وصاروا ينقلون الماء من المدارس والحمامات، وأخذ جميع النجارين وسائر البنائين لهدم الدور، فهدم في هذه النوبة ما شاء الله من الدور العظيمة والرباع الكبيرة، وعمل في هذا الحريق أربعة وعشرون أميرا من الأمراء المقدّمين، سوى من عداهم من أمراء الطبلخانات والعشراوات والمماليك، وعمل الأمراء بأنفسهم فيه، وصار الماء من باب زويلة إلى حارة الديلم في الشارع بحرا من كثرة الرجال والجمال التي تحمل الماء، ووقف الأمير بكتمر الساقي والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاصيّ، وخرّبوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها، حتى تمكنوا من نقل الحواصل، فما هو إلا أن كمل إطفاء الحريق ونقل الحواصل، وإذا بالحريق قد وقع في ربع الظاهر خارج باب زويلة، وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا، وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء، وهب مع الحريق ريح قوية، فركب الحاجب والوالي لإطفائه وهدموا عدّة دور من حوله حتى انطفأ، فوقع في ثاني يوم حريق بدار الأمير سلار في خط بين القصرين، ابتدأ من الباذهنج، وكان ارتفاعه عن الأرض مائة ذراع بالعمل، فوقع الاجتهاد فيه حتى أطفيء، فأمر السلطان الأمير علم الدين سنجر الخازن والي

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢/٤٣٩

القاهرة، والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، بالاحتراز واليقظة، ونودي بأن يعمل عند كلّ حانوت دنّ فيه ماء، أو زير مملوء بالماء، وأن يقام مثل ذلك في جميع الحارات والأزقة والدروب، فبلغ ثمن كل دنّ خمس دراهم بعد درهم، وثمن الزير ثمانية دراهم، ووقع حريق بحارة الروم وعدّة مواضع، حتى أنه لم يخل يوم من وقوع الحريق في موضع، فتنبه الناس لما نزل بهم، وظنوا أنه من أفعال النصارى، وذلك أن النار كانت ترى في منابر الجوامع وحيطان المساجد والمدارس، فاستعدّوا للحريق وتتبعوا الأحوال حتى وجدوا هذا الحريق من نفط قد لف عليه خرق مبلولة بزيت وقطران. فلما كان." (١)

"زوجة المشتولىّ في الجودرية «١» ، فقام ألطنبغا من فوره ومعه جماعة وكبسوا بيت آمنة المذكورة فهرب السلطان واختفى في بادهنج «٢» البيت فطلعوا فوجدوه في البادهنج وعليه قماش النساء، فمسكوه وألبسوه عدّة الحرب وأحضروه الى قلعة الجبل فتسلّمه الأمير أينبك البدرىّ وخلا به وأخذ يقرّره على الذخائر فأخبره الملك الأشرف بها وقيل. إنّ أينبك المذكور ضربه تحت رجليه عدّة عصىّ. ثم أصبحوا في يوم الاثنين خنقوه وتولّى خنقه جاركس شادّ عمائر ألجاى اليوسفىّ فأعطى جاركس المذكور إمرة عشرة واستقرّ شادّ عمائر السلطان.

ثم بعد خنق الملك الأشرف لم يدفنوه، بل أخذوه ووضعوه في قفّة وخيّطوا عليها ورموه في بئر، فأقام بها أياما إلى أن ظهرت رائحته، فاطّلع عليه بعض خدّامه من الطواشيّة، ثم أخرجوه ودفنوه عند كيمان «٣» السيدة نفيسة وذلك الخادم يتبعهم من بعد حتى عرف المكان، فلما دخل الليل أخذ جماعة من إخوته وخدمه ونقلوه فى تلك الليلة من موضع دفنوه المماليك ودفنوه بتربة والدته خوند بركة بمدرستها التى بخطّ التّبّانة في قبّة وحده، بعد أن غسّلوه وكفّنوه وصلّوا عليه وقيل: غير ذلك وهو أنهم لّما وجدوه في البيت المذكور وعليه قماش النّسوة أركبوه على هيئة بازار خلف مملوك ومشوا خلفه وطلعوا به من على قنطرة باب «٤» الخلق وطلعوا به على." (٢)

"وقد اختصرنا من أمور الفاطميين نبذة كثيرة خشية الإطالة والخروج عن المقصود، وفيما ذكرناه كفاية، ويعلم به أيضا أحوالهم بالقياس «١» . وربّما يأتى ذكرهم في عدة تراجم أيضا؛ فإنّهم ثلاثة عشر خليفة بمصر، نذكرهم إن شاء الله فى هذا الكتاب كلّ واحد على حدته.

*** وأمّا خطبة الخليفة في شهر رمضان، فنذكرها من قول ابن عبد الظاهر.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤/٤٤٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٦/١١

قال: «وأمّا عظم الخليفة في أيّامه وما كانت قاعدته وطريقته التى رتّبها ودامت من بعده عادة لكل خليفة فشيء كثير؛ من ذلك: أنّه كان يخطب في شهر رمضان ثلاث خطب ويستريح فيه جمعة، وكانوا يسمّونها جمعة الراحة «٢» . وكان إذا أراد أن يخطب يتقدّم متولّى خزانة الفرش إلى الجامع ويغلق المقصورة التى برسم الخليفة والمنظرة وأبواب مقاصيرها **وبادهنج** «٣» المنبر ثمّ يركب متولّى بيت المال، وعلى يد كلّ واحد منهما تعليقه «٤» وفرشه، وهى عدّة سجّادات مفروزة «٥» منطّقة وبأعلاها سجادة لطيفة، لا تكشف إلّا عند توجّه الخليفة إلى المحراب. ثم يفرش الجامع بالحصر المحاريب «٦» المفروزة ممّا يلى المحراب- وكان ذلك بجامع الأزهر قبل أن يبنى الحاكم جامعه، ثمّ صار بعد ذلك بجامع الحاكم- ثم يهيّأ للداخل للجامع مثل ذلك، ثم يطلق البخور، وتغلق أبواب الجامع ويجعل عليها الحجّاب والبوّابون؛ ولا يمكّن." (١)

"أصل «١» **البادهنج** «٢» وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل، ورأوا فيه نفطا قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فما زالوا بالنار حتى أطفئت من غير أن يكون لها أثر كبير. فنودى أن يعمل بجانب كلّ حانوت بالقاهرة ومصر زير أودنّ كبير ملآن ماء.

ثم فى ليلة الخميس وقع الحريق بحارة الروم وبموضع آخر خارج القاهرة، وتمادّى الحال على ذلك لا يخلو وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فشاع بين الناس أنّ الحريق من جهة النصارى لمّا أبكاهم هدم الكنائس. ثم وقع الحريق فى عدّة مساجد وجوامع ودور، إلى أن كان ليلة الجمعة حادى عشرينه قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهاريّة «٣» بالقاهرة وقد أرميا النار بها، فأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر." (٢)

"(عجبت لمهري إِذْ رأى الْعَرَب نكبا ... كَأَن لم يكن بَين الأعاريب قد رَبَّا)

(أجل لَيْسَ نكراً للفريق وَإِنَّمَا ... تخوف عتباً مِنْهُم فتجنبا)

قلت التصريع فِي الْبَيْتَيْنِ لَيْسَ بمليح وَكَانَ يتعاطى الفروسية ويحضر الْغَزَوَات ويتصيد بالجوارح وَالْكلاب وَقد مدحه الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة شهَاب الدّين مَحْمُود رَحمَه الله بقصيدة عدتهَا أَزِيد من ثَمَانِينَ بَيْتا وَهِي روايتي عَنهُ بِالْإِجَازَةِ أَولهَا الْكَامِل

(أَعلَى فِي ذكر الديار ملام ... أم هَل تذكرها عَليّ حرَام)

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٠٢/٤

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٦٧/٩

(أم هَل أذمّ إِذْ ذكرت منازلاً ... فارقتها وَلها عَليّ ذمام)

مِنْهَا فِي مدح الصاحب تَاج الدّين الْكَامِل

(وشجاعة مَا عَامر فِيهَا لَهُ ... قدم وَلَا عَمْرو لَهُ إقدام)

(ثَبت الْجنان إِذا الفوارس أحجمت ... خوف الردى لم يثنه إحجام)

(وبكفه فِي جحفل أَو محفل ... تزهى الرماح السمر والأقلام)

وَحكى لي الْمشَار إِلَيْهِ سيادة كَثِيرَة شَاهدهَا مِنْهُ من ذَلِك أَنه قَالَ دخلت يَوْمًا إِلَيْهِ فلقيني إِنْسَان نسيت أَنا اسْمه وَمَعَهُ قصيدة قد امتدحه بهَا فَقَالَ لي يَا مَوْلَانَا لي مُدَّة وَلم يتَّفق لي إِلَى الصاحب وُصُول فأخذتها وَدخلت إِلَيْهِ وَقلت بِالْبَابِ شَاعِر قد مدح مَوْلَانَا الصاحب فَقَالَ يدْخل فَأَعْطَاهُ القصيدة فأنشدها وَلم يمْتَنع من سماعهَا كَمَا يَفْعَله بعض النَّاس فَلَمَّا فرغت أَخذهَا مِنْهُ ووضعها إِلَى جَانبه وَلم يتَكَلَّم وَلَا)

أَشَارَ فَحَضَرَ خَادِم وَمَعَهُ مبلغ مِائَتي دِرْهَم وتفصيلة فَدَفعهَا إِلَيْهِ قلت وَهَذَا غَايَة فِي الرِّئَاسَة من سماعهَا وَعدم قَوْله أَعْطوهُ كَذَا أَو إِشَارَة إِلَى من يحضر فيسر إِلَيْهِ وَقيل عَنهُ أَن جَمِيع أَحْوَاله كَذَا لَا يُشِير بِشَيْء وَلَا يتَكَلَّم بِهِ فِي بَيته وكل مَا تَدْعُو الْحَاجة إِلَيْهِ يَقع على وفْق المُرَاد وَحكى لي أَنه أضَاف جده يَوْمًا ووسع فِيهِ فَلَمَّا عَاد إِلَى بَيته أَخذ النَّاس يعْجبُونَ من همته وكرم نَفسه فَقَالَ الصاحب بهاء الدّين لَيْسَ مَا ذكرتموه بعجيب لِأَن نَفسه كَرِيمَة ومكنته متسعة وَالْعجب العجيب كَونه طول هَذَا النَّهَار وَمَا أحضرهُ من المشروب والمأكول من الطَّعَام والفاكهة والحلوى وَغير ذَلِك على اخْتِلَاف أَنْوَاعه مَا قَامَ من مَكَانَهُ وَلَا دَعَا خَادِمًا فَأسر إِلَيْهِ وَلَا أَشَارَ بِيَدِهِ وَلَا بطرفه وَلم يَجِيء إِلَيْهِ أحد من خدمه وَلَا أَشَارَ وَقيل أَن النَّاس تعجبوا على كثرتهم وشربهم المَاء مبرداً فِي كيزان عَامَّة ذَلِك النَّهَار فَسئلَ عَن ذَلِك فِيمَا بعد فَقَالَ اشترينا خمس مائَة كوز وبعثنا إِلَى الْجِيرَان قَلِيلا قَلِيلا بردوا ذَلِك فِي **الباذهنجات** الَّتِي لَهُم وَلَا شكّ فِي أَنه كَانَ عَليّ الهمة ممجداً مسوداً وَلَكِن لم يكن لَهُ دربة وَالِده فِي تَنْفِيذ الوزارة فَإِنَّهُ وَليهَا مرَّتَيْنِ وَمَا أَنْجَب وَكَانَ لَهُ إِنْسَان مُرَتّب مَعَه حمام كحمام البطائق مدرب إِذا خرج من بَاب القرافة أطلق مَا مَعَه من الْحمام فيروح إِلَى الدَّار الَّتِي لَهُ فَيعلم أَهله بِأَنَّهُ قد خرج من القلعة فيرمون الططماج والملوخية وَغير ذَلِك من أَنْوَاع المطجن وَمَا شابهه حَتَّى إِذا جَاءَ وجد الطَّعَام حَاصِلا والسماط ممدوداً وَقد سمع مِنْهُ الشَّيْخ شمس الدّين الذَّهَبِيّ أَيْضا وجالسه وأنشده شعره وَاعْتَكف فِي مأذنة عَرَفَات." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١/١٧٨

"سُورَة رَابِعَة قَالَ فَقلت لَهُ يَا سَيِّدي افدتني وأفتيتني أَو كَمَا قَالَ وأنشدني قَالَ أَنْشدني الْمَذْكُور لنَفسِهِ لغزاً فِي الْعين الباصرة

(ومحبوبة عِنْد الْمَنَام ضممتها ... احس بهَا لكنني مَا نظرتها)

(لذيذة ضم لَا أُطِيق فراقها ... وَرب لَيَال فِي هَواهَا سهرتها)

قلت مَا أحسن قَوْله فِي هَواهَا سهرتها وأنشدني قَالَ أَنْشدني لنَفسِهِ

(حَيَاة الْمنَازل سكانها ... همم روحها وَهِي جثمانها)

(اضاءت بِمن حلهَا بهجة ... كَمَا حل بِالْعينِ أنسانها)

(وللظاعنين تحن الديار ... كَأَن الْأَحِبَّة أوطانها)

وأنشدني قَالَ أَنْشدني لنَفسِهِ فِي **الباذهنج**

(كَأَنَّمَا **الباذهنج** قلع ... علا على الْفلك حِين تسرى)

(لَكِن ذَاك الرِّيَاح اجرت ... وَذَا غَدا للرياح يجرى)

وأنشدني قَالَ أَنْشدني لنَفسِهِ فِي شيخ منحن مطيلس وَهُوَ تَشْبِيه غَرِيب

(كَالْعَيْنِ شيخ منحن ... مطيلس اعرفه)

(تقويسها كظهره ... ورأسها رفرفه)

وأنشدني قَالَ أَنْشدني من جهز إِلَيْهِ بورية فايتة

(دع الِاضْطِرَاب عَن الحيا ... ة وخل نَفسك ثابته)

(وازرع فحبات القلو ... ب بهَا الْمحبَّة نابته)

(وَذكرت فايتة وقم ... للفور واقض الفايته)

ألب رسْلَان السلجوقي مُحَمَّد بن جغريبك بن سلجوق بن دقاق السُّلْطَان عضد الدولة أَبُو شُجَاع)

الب رسْلَان الملقب بالعادل أول من ذكر بالسلطنة على مَنَابِر بَغْدَاد قدم حلب وحاصرها سنة ثلث وَسِتِّينَ

فَخرج إِلَيْهِ مَحْمُود بن نصر بن صَالح بن مرداسٍ صَاحبهَا مَعَ أمه فانعم عَلَيْهِ بحلب وَسَار إِلَى الْملك ديوجانس وَقد خرج من الْقُسْطَنْطِينِيَّة فالتقاه وأسره ثمَّ من عَلَيْهِ بالأطلاق وَكَانَ ملكا عادلا مهيبا مُعظما ولى السلطنة بعد وَفَاة عَمه طغرلبك اتوه بوالي قلعة اسْمه يُوسُف الْخَوَارِزْمِيّ فَأمر بَان يضْرب لَهُ أَرْبَعَة أوتار وتشد أَطْرَافه إِلَيْهَا فَقَالَ يُوسُف يَا مخنث مثلي يقتل هَذِه القتلة فَقَالَ السُّلْطَان خلوه وَأخذ الْقوس ورماه ثلث فردات سَاب فاخطأه فِيهَا وَلم يكن يُخطئ لَهُ سهم فأسرع يُوسُف إِلَيْهِ فَقَامَ السُّلْطَان عَن السرير وَنزل فعثر على وَجهه وبرك عَلَيْهِ يُوسُف وضربه بسكين كَانَت مَعَه فِي خاصرته وَلحق بعض الخدم يُوسُف فَقتله ارمني فَقتله وَحمل السُّلْطَان." (١)

"أنكر توالي الإنعام بعد الإنعام وتتابع الْإِكْرَام بعد الْإِكْرَام وَمَا علم أَن آثَار السَّيْف طاحت وَبَقِي أثر الأقلام وَكم للخادم من موقف مشكور يعجز عَنهُ السيوف الْمَشْهُور وَالْعلم المنشور وَالْمولى الْعَادِل يمني نَفسه فأدام الله أَيَّام الْمولى مَا دَامَت السَّمَوَات وَالْأَرْض وَالْخَادِم إِن تقدم الْمولى فَهُوَ أكبر مُرَاده وَإِن كَانَت شقوة تطيل لَهُ الْبَقَاء فَمَا يخرج الْملك عَن السَّادة الْمُلُوك من أَوْلَاده)

قلت من هَذَا الْكَلَام يعرف أَيْن كَانَ الْفَاضِل فِي الرُّتْبَة عِنْد صَلَاح الدّين وَمَا أَفَادَ هَذَا الْكَلَام

وَمَات السُّلْطَان وَاسْتولى الْعَادِل على الْبِلَاد وسل أَوْلَاد أَخِيه صَلَاح الدّين وَاحِدًا بعد وَاحِد وَمَا نفعهم القَاضِي الْفَاضِل

وَمن إدلال الْفَاضِل على السُّلْطَان مَا رَأَيْته فِي مُكَاتبَة عَنهُ إِلَى السُّلْطَان وَهُوَ أَن الْعَزِيز عُثْمَان وَلَده كَانَ مَعَه فِي تِلْكَ السفرة فَذكره الْفَاضِل وَقَالَ الْكَامِل

(مَمْلُوك مَوْلَانَا ومملوك ابْنه ... وأخيه وَابْن أَخِيه وَالْجِيرَان)

(طي الْكتاب إِلَيْهِ مِنْهُ إجَابَة ... لسلام مَوْلَانَا ابْنه عُثْمَان)

(وَالله قد ذكر السَّلَام وَأَنه ... يَجْزِي بِأَحْسَن مِنْهُ فِي الْقُرْآن)

(وغريبة قد جِئْت فِيهَا أَولا ... وَمن اقتفاها كَانَ بعدِي الثَّانِي)

(فرسولي السطلان فِي إبلاغها ... وَالنَّاس رسلهم إِلَى السُّلْطَان)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢/٢٢٩

وترسله فَلَعَلَّهُ يبلغ الْمِائَة مُجَلد ونظمه فقد قَالَ فِي جملَة رِسَالَة إِنِّي من مدرجة سِتِّينَ وَمَا قاربها وَهِي الْمدَّة من تاريخها قدح هِجْرَة وَكري وعلو سعر شعري قد نظمت مَا بَين خمسين ألف بَيت من الشّعْر بِشَهَادَة عيانها وَحُضُور ديوانها وَمثل هَذَا الْعدَد لَا يعرف لقديم وَلَا مُحدث فِي مثل هَذِه الْمدَّة مثل قولي فِي صفة **باذهنج** شَدِيد الحرور مَا يناهز ألف بَيت وَمثل قولي فِي رجل طَوِيل الآذان كَأَنَّهُمَا فِي رَأسه خفان أَو قد عجل لَهُ مِنْهُمَا نَعْلَانِ مَا يُقَارب ألفي بَيت وَمثل قولي فِي رثاء الوطن الَّذِي درجت من وَكره وَخرجت فَلم أخرج عَن ذكره مَا يناهز عشرَة آلَاف بَيت وَمثل قولي فِي مدائح منصوصة وأهاجي مَخْصُوصَة وَمثل قواف لم اسبق إِلَى رُكُوبهَا وَلم يدر الزَّمَان على مسامع أَهله مثل كوبها

فَأَما نثره فَمِنْهُ مَا كتبه إِلَى موفق الدّين خَالِد بن القيسراني وَقد وقف لَهُ على رِسَالَة كتبهَا بِالذَّهَب وقف الْخَادِم على مَا دبجته أنامل الحضرة الَّتِي إِذا صاب سحابها روض لساعته وَإِذا عدمت حَقِيقَة السحر فَهِيَ الَّتِي نفثها بَيَانه فِي روع يراعته فانتقل من الِاسْتِحْسَان." (١)

"(كاللَّيلِ إِلَّا أَنَّه لما دَجا ... والمسكِ إِلا أَنَّه لمَّا نَفَح)

(قبَّلْتُه وقَبِلتُ أَمرَ صبَابتِي ... ونصحتُ نَفسِي فِي قطيعةِ من نَصَح)

(ورشَفتُ ريقَتَه على رَغم الطِّلا ... من كأسِ مَرشَفه على رغم القَدَح)

(ورقيقةِ الخَصرين كلٌّ مِنْهُمَا ... بسقَامه لَا بِالوشَاحِ قَد اتَّشَح)

(فِي لحظِها السِّحر الحلالُ قد استَحى ... وبخدِّها الوردُ الجنيُّ قد انفتَح)

(عضَّت أَنامِلَها عليَّ تَدلُّلاً ... فأرَت رضيعَ الطَّلع مَع طَفلِ البَلَح)

(ثُغرٌ يُريك الأَحوانَ بِهِ شفى ... وقتَ الظهيرةِ أَو يُريك بِهِ قَلَح)

(لِي سُبحَةٌ من جَوهَرِ فِي ثغرِها ... فَفَضَلتُ سائرَ من يُسَبّح بالسُّبَح)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٢/١٨

(لِمَ لَا تُصالِحُ قُبلَتي يَا خدَّها ... والماءُ فِيك مَعَ اللهيبِ قَد اصطلَح)

(كم يَعذِلون ولستُ أَسمعُ منهمُ ... فأَنا وهم مثلُ ألأصمِّ مَعَ الأَبَح)

(ليسَ العَذول عليكَ إِنساناً هَذَى ... إِنَّ العذولَ عليكَ كلبٌ قد نَبَح
)

(وَلَقَد سألتُ القلبَ بعض تَصبُّرٍ ... يَسخو عليَّ بِهِ فشحَّ وَمَا رَشح)

(لم تُعِده بالبُخلِ إِذْ سكنت بِهِ ... فَلَطالَما سَمَحت وقَلبي مَا سَمَح)

(بَعُدَت عليَّ فضَاق صَدري بَعدها ... وذكَرتُ عَود أَبي عَلِيٍّ فانشَرح)

وَقَالَ فِي مليح مرض

(حَكَيتَ جِسمي نُحولاً ... فَهَل تَعَشَّقتَ حُسنَك)

(وَكَانَ جَفنُك مُضنىً ... فصرتَ كلُّك جَفنَك)

(وزادك السُقمُ حُسنا ... واللهِ إِنَّك إِنَّك)

وَقَالَ فِي **بادَهنج**

(**وبادهنجٍ** علا بِناءً ... لكنه قد هَوَى هواءَ)

(دَامَ عليلُ النسيمِ فِيهِ ... كَأَنَّهُ يطلبُ الدَّوَاء)

وَقَالَ

(بَدَت لِيَ ثوبٍ كوَجهي أصفرٍ ... عَلَته بمنديلٍ كقلبي أسودِ)

(فأبصر مِنْهَا الطرفُ مردودَ عسجَدِ ... على طَرَف مِنْهُ بَقِيَّة إثمد)

وَقَالَ يذُمُّ خالا

(يَا من غَدَتْ تختال من خالها ... وخالُها يقْضِي بتهجينها)

(كإنّما خدّك تُفاحَةٌ ... وخالها نُقطَة تَغْيِينهَا)." (١)

"بنو العباس قد فطنوا لسر ... بنزعهم لمبيضِّ الثياب

لئن لبسوا السوادَ لقد أصابوا ... لأنهم حكوا لون الشباب

وقوله في استدعاء صديق له الى مجلس أنس:

قد شربنا المدام من كف خود ... أقبلت كالهلال والليلُ داجِ

ونعمنا لولا مغيبك عنا ... بسماع الأرمال والأهزاج

وعجبنا للماء يحمل ناراً ... في قنان كأنها خرط عاج

وفتاةٍ تكشفت للنّدامى ... وعجوزٍ تستّرت بالزجاج

فاغتنم لذّة الزمان وبادِرْ ... كلّ ضيق تخافه لانفراج

وقوله في كبير اللحية:

لحية حمدون دثارٌ له ... تكنّه من شدة البردِ

كأنها إذ غاب في وسطها ... قطيفة لُفّتْ على قِرْد

وقوله في العناق:

لم أنسَ إذ عانقتُ بدر التمام ... في غسق الليل وجنحِ الظلامْ

كأنّنا لامانِ قد قوربا ... فألصق الخطّ فصارا كلام

وقوله في الخضاب:

خضبت شعرَك زوراً ... والشيب قد فاض فيضا

كذبتَ في كل شيء ... حتى على الشعر أيضا

وقوله في المعنى:

صبْغُ المشيب بليّهْ ... على الفتى ورزيّهْ

حصلت منه على أن ... أضحكت مني البريّه

وقوله في مدح البخل:

يا لائمي في اشغالي ... بحفظ مالٍ قليلِ

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤٦/٢٧

البخلُ أجملُ بالح ... رِّ من سؤال البخيل

وقوله في نار الفحم:

ونار فحم ذي منظر عجب ... يطرد عنه الشرار باللهب

كأنما النار مبرد جعلت ... تبرد منه برادة الذهب

وقوله في فتى بارد:

أتيتُ إليه في قيظٍ شديدِ ... فحيّاني محيّاه بثلجِ

فقلت: عدمت عندي بادهنجاً ... ولكن وجه هذا بادهنجي

وقوله في بخيل:

أتيته زائراً أحدّثه ... ولست في ماله بذي طمعِ

فظن أني أتيت أسأله ... فكاد يقضي من شدة الجزعِ

وقوله في النرجس، وقد أتى فيه بأربع تشبيهات:

أريد لأشفي سقم قلبي بنرجس ... فيذبل إن صافحته بتنفسي

له مقلة كالتّبر والجفن فضّة ... وقدّ كغصن البان في ثوب سندس

وقوله في ذم مغن:

غنّي وإن كان مقيتاً فلا ... ينسبه الله الى المقتِ

من حُمَّ فلينظر الى وجهه ... فإنه يبرد في الوقتِ

وقوله:

لا تصلْ من صدّ تيهاً ... أبداً واستغنِ عنه

كن كمثل الكرم يعلقْ ... بالذي يقرب منه

وقوله:

يحبّ بنو آدم ربّهم ... ولكنهم بعدُ يعصونه

وإبليسُ قد شربوا بغضه ... وهم بعد ذاك يطيعونه

فهذا التنافي فما بالهم ... يرون الضلالَ ويأتونه

وقوله في الشيب:

أرى عيني إذا ثقلت مشيباً ... يكون لها انقباضٌ وانخفاضُ

كأن العين تشفق أن تراه ... مخافة أن يحلّ بها البياض

وقوله:

سلَوْنا حبّه لما جفانا ... وكان بموضع منّا شريفِ

كمثل الزهر تكرمه طرياً ... ويُطرَح إن تغير في الكنيف

وقوله:

إن أنت لم يحتج إليك الورى ... كنتَ بهم في تعب متعب

ألا ترى الماء إذا لم يكن ... شاربه عطشان لم يُشرَبِ

وقوله:

احذر صديقك إنه ... يخفى عليك ولا يبينُ

إن العدو مبارز ... لك والصديق هو الكمينُ

وقوله في راقصة:

راقصة كالغصن من فوقه ... بدرٌ منيرٌ تحت ظلماء

تلهب مثل النار في رقصها ... وهي من النعمة كالماء

كأنما في رجلها عودُها ... وزامرٌ يتبع بالنّاء

ساحرة الرقص غلامية ... منها دوائي وبها دائي

إذا بدت ترقص ما بيننا ... يرقص قلبي بين أحشائي

وقوله في العذار:

عذاره في خدّه أنه ... سبحان ربي الخالق الباري." (١)

"ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة:

تأمل فإني طاسة صح نقشها ... وفاق على نقش الغواني التي تسبي١

وواصف حسني أطرب السمع قوله ... كأني في الكاسات داخلة الضرب

وقلت في المعنى:

أنا طاسة قدري سما وبروضتي ... نهر المجرة للنجوم موارد

وتسارح القمر المنير لحسنه ... فقمرته وعليه نقشي قاعد٢

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٨١٥

وقلت أيضًا:

أنا طاسة بيضت وجهي عندكم ... وصفًا لكم قلبي بماء رائق

عذبت موارده ببارق بهجتي ... فتنزهوا بين العذيب وبارق٣

ومن أغراضه اللطيفة في **باذهنج** قوله مضمنًا:

بروحي أفدي **باذهنجًا** موكلًا ... بإطفاء ما يلقاه من حرق الجوي٤

إذا مدحت أوصافه قال منشدًا ... على أنني راض بأن أحمل الهوى

ومن أغراضه قوله:

أطربنا العود إلى أن غدا ... مقامنا يرقص مع صحبه

فشمعنا قام على ساقه ... وكأسنا دار على كعبه

وقوله مضمنًا:

درب الحجاز لقد شرفت منازلًا ... قدر المنازل من سواها نازل

كم سارت فيها نحو مكة منشدًا ... لك يا منازل في القلوب منازل

ومما اخترته من الأبيات العامرة، للمعمار -رحمه الله- قوله:

إن قام يتلو سورة الشمـ ... ـس المنيرة في ضحاها

---

١ تسبي: تفتن وتأسر، والطاسة وعاء صغير مجوف ومستدير.

٢ قَمَرَ: غَلَبَ.

٣ العذيب وبارق: مكانان في الصحراء.

٤ **باذهنج**: لم نعثر على هذه اللفظة في ما بين أيدينا ونظنه من الأسماء التي تدل على نوع من النبات.." (١)

"وقوله في جارية تدعى حكم الهوى:

حكم الهوى صدق فبت لأجل ذا ... ولهان من فرط الصبابة والجوى

يا عاذلي لا تلحني في حبها ... نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى١

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة، في **الباذهنج** والفانوس، ولكن نختار منها ما

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٧٩/٢

يحسن نظمه في هذا السلك، فمن ذلك قوله في فانوس مع حسن التضمين:

وكأنما الفانوس نجم نير ... منع الظلام من الهجوم طلوعه

أو عاشق أجرى الدموع بحرقة ... من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم، فقال وأحسن التضمين:

انظر إلى الفانوس تلق متيمًا ... ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه بدموعه ... وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبي حجلة وأجاد مع حسن التضمين:

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا ... برقًا تألق موهنًا لمعانه٢

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به أجفانه

ويعجبني قوله مع حسن التضمين:

أنا في الدجى ألقى الهوى وبمهجتي ... حرق يذوب لها الفؤاد جميعه

فكأنني في الليل صب مدنف ... كتم الهوى فوشت عليه دموعه٣

ويعجبني أيضًا هنا قول مجير الدين بن تميم:

أبدى اعتذارًا لنا الفانوس حين بدا ... في حالة من هواه ليس ينكرها

رأى الهوى مضرمًا ما بين أضلعه ... نار الجوى فغدا بالثوب يسترها٤

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في **الباذهنج** قوله مع حسن التضمين:

---

١ لحا: لام.

٢ الموهن: قريب من منتصف الليل أو بعده بقليل.

٣ الصب: العاشق. المدنف: المريض بالعشق. وشى: دَلَّ ونَمَّ.

٤ مضرمًا: ملتهبًا. الجوى: الشوق والصبابة.." (١)

"**وباذهنج** غدا في الجو منظره ... من فوق مخبره يبدو على سنن

فانظر فديتك يا محبوب رفعته ... واستنشق الريح من تلقاه يا سكني

وقوله:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/١٩٦

يا **باذهنجي** كم كذا ... تعلو على بان الحمى

أبديت حمقًا زائدًا ... ورفعت رأسك للسما

وألطف منه قوله مع حسن التضمين:

يا **باذهنجي** لا برحت من الهوى ... مثلي على حب الديار مولها

داري بحبك لم تزل مشغوفة ... خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنًا:

هجا الشعراء جهلًا **باذهنجي** ... لأن نسيمه أبدًا عليل

فقال **الباذهنج** وقد هجوه ... إذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة في باب التورية قوله، وكتب به إلى ابن الزين المعروف بلبيكم:

يا شاعرًا قد حاز حسن بديهة ... وتطيعه درر النجوم إذا نظم

وتجيبه قبل السؤال لقصده ... وتقول يابن الزين لبيكم نعم١

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين إلى الشام:

يا معشر الأدبا غدا تشبيبكم ... ومديحكم فيما يروق ويعذب٢

وافاكم ابن نباتة فتفقهوا ... أقواله بسكينة وتأدَّبوا

وقوله من أبيات:

ومتى امتطيت من الكئوس كميتها ... أمسيت تمشي في المسرة راكبا٣

ومتى طرقت عشى آنس ديرها ... لم تلق إلا راغبًا أو راهبا

وممن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغاري، فمن ذلك قوله:

---

١ لبيكم: لقب المذكور ومعناها سرعة الاستجابة للطلب.

٢ التشبيب: التغزل.

٣ الكميت: الحمراء التي يميل لونها إلى السواد. المسرة: السرور.." (١)

"وقال مضمنًا في قطائف:

لقد نطقت زهر الثنا بقطائف ... تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٩٧/٢

تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي ... وكلي إن حدثتكم السن تتلو

وله في **باذهنج** وأجاد:

بروحي أفدي **باذهنجًا** موكلًا ... بإطفاء ما ألقاه من حرق الجوى٦

إذا فتتحت في الحر منه طوابق ... أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقال فيه:

أيا **باذهنجًا** صح فيه لنا الهوا ... صفاتك ما وفى بهن خطاب

وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن عشقي في هواك صواب

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وأجاد:

هجا الشعراء جهلًا **باذهنجي** ... لأن نسيمه أبدًا عليل

فقال **الباذهنج** وقد هجوه ... إذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبني من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطي قوله:

وموسوس عند الطهارة لم يزل ... أبدًا على الماء الكثير مواظبا

يستصغر البحر الكبير لذقنه ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

ومن غاياته في هذا الباب قوله:

ولما بدا والليل أسود فاحم ... قد انتشرت في الخافقين غياهبه٢

أضاء بدر الثغر عند ابتسامه ... دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه٣

وقال بدر الدين حسن الزغاري وأجاد:

وبي سامري مربى في عمامة ... قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها

موردة دارت بوجه كأنما ... تناولها من خده فأدارها

---

١ **الباذهنج**: شجر طيب الرائحة.

٢ الخافقين: الأفقين. الغياهب: الظلمات.

٣ الجزع: نوع من الخرز الأسود.." (١)

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٣٣٤

"وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير:

وذي أذن بلا سمع ... له قلب بلا قلب

إذا استولى على حب ... فقل ما شئت في الصب

ومن لطائف ما وقع في باب الألغاز أن شيخ الشيوخ بحماة كتب إلى والده ملغزًا في باب، بقوله:

ما واقف بالمخرج ... يذهب طورًا ويجي

لست أخاف شره ما لم يكن بمرتج1 ... فكتب إليه والده في الكتاب

ذهاب ومجيء وخوف وشر، هذا باب خصومة والسلام.

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزًا في باب:

أي شيء تراه في الدور والكتـ ... ـب مجازًا هذا وذاك محقق

هو زوج وتارة هو فرد ... وهو في أكثر الأحايين يطرق

وطليق في نشأتيه ولكن ... بحديد من بعد ذلك يوثق2

وهو في القلب يستوي وتراه ... بان تصحيفه لمن يترمق3

فأجبني عنه بقيت مطاعًا ... نست في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في **باذهنج**، وأجاد:

أهواؤنا المختلفة ... قد أصبحت مؤتلفه

في شامخ بأنفه ... على العوالي أنفه

وذي جناح لم يطر ... وكل طير ألفه

جناحه طول المدى ... يبدي علينا رفرفه

في الريح ضاع قول من ... على هواه عنّفه

عليله الصحيح كم ... شفى قلوبًا دنفه

وروحه لطيفة ... وذاته منحرفه

---

1 أرتج: الباب، أقفله.

٢ يوقف: يربط، ويقيد.

٣ التصحيف: تغيير نقط الحروف. المترمق: المحد النظر.." (١)

"ﷺ٣٨٦٨٥ƒفلكﷻتحفه الاحباب في نصب **الباذهنج** والمحرابЕاحمد بن رجب بن طنبغا، ابن المجديﷺابن المجدي٢/٣ ٨٥٠هـ$٩هـ١/٨«مكتبه الدولهµالمانيا¶برلين»٥٦٩٠ ١/٨«الخديويهµمصر¶القاهره»٢٨٠/٤، ٢٩٢/٤، ٣٠٤/٤ ١/٨«معهد المخطوطات العربيهµمصر¶القاهره»٢٧ عن دار الكتب المصريه ١٨٣ ميقات." (٢)

"سبق آخر الحادي عشر وأبدلوا بعض الأساطين مما حول مقصورة الحجرة بدعائم عظيمة ولم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من التنسيق هناك وجعلوا السقف عقودا فيما بين هذه القبة وبين جدار المسجد الشرقي وكذا ما أتصل بها في الشام إلى محاذاة المتهجد الشريف وكذا ما بينها وبين جدار القبلة وجعلوا في هذه الناحية قبة لطيفة وحولها ثلاث أخر ألطف منها أيضا تسمى

مجاريد وجعلوا بين هذه العقود وبين المنارة الرئيسية **باذهنجا** للضوء والهواء وكان باب المنارة بالمغرب فنقلوه إلى الشام وأحدثوا أمامه أربع درج بأرض المسجد وأفردوا محل الباب الأوّل بخزانة للخطيب وكان جلوسه إلى أن يخرج للخطبة في الإعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة وقد أعاد المقرّ الشجاعي شاهين الجمالي عند تجديد المنارة المذكورة بابها إلى محله الأوّل وأبطل تلك الدرج المحددة جزاه الله تعالى خيرا واتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله وبنوا الباب المذكورة بالرخام الأبيض والأسود وزينوه كثيرا وكذا زينوا القباب المذكورة وخفضوا أرض مقدّم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوي واتخذوا له محرابا في دعامة ابتنوها في محل الصندوق الذي كان هناك قديما وزخرفوه بالرخام الملوّن وكذا المحراب العثماني وزادوا في رخامه من جنبيه بأعلى الوزرة على ما كان أوّلا وأعادوا." (٣)

"وقال: وقد توجه إلى عند الأمير شهاب الدين أحمد بن يغمور رحمه الله تعالى يتقاضاه برسم له عليه، وأخذ معه هدية سمك:

لي تهيأت أمور قط ما اتفقت ... قبلي لسوقة مثلي ولا ملك

بالخير يصطاد أسماك البحار وقد ... أصبحت وحدي أصيد الخير بالسمك

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٤٣/٢

(٢) خزانة التراث – فهرس مخطوطات – ٩٢١/٣٩

(٣) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٩٢/٢

وقال: وكتب بها إلى ضياء الدين القرطبي، وأهدى له ابلوجين سكر في قدر نحاس:

وأبيات تسامح حين تلقى القدر تهدين

ففي العربة والعربة ... ما يهدى كهاذين

وبات ليلة في شهر رمضان عند الصاحب بهاء الدين أحمد بن حناء رحمه الله، فصلى عنده التراويح، وقرأ الامام في تلك الليلة سورة الأنعام في ركعة واحدة؛ فقال:

ما لي على الأنعام قدرة ... لا سيما في ركعة واحده

فلا تسوموني حضورا سوى ... في ليلة الأنفال والمائده

وجلس السراج الوراق في باذهنج ينظم فقال الجزار:

إن السراج نسيم الريح يوقظه ... إلى فوائد كالابريز ينتقد

يزيده الريح ايقادا لخاطره ... وما رأينا سراجاً في الهوى يقد." (١)

"سليمان «٨٣» عنه إلى صهره السلطان أرخان بك، فلمّا بلغه خبر وصولنا بعث إلينا ولديه خضربك وعمربك، «٨٤» فسلّما على الفقيه، وأمرهما بالسلام عليّ ففعلا ذلك وسألاني عن حالي ومقدمي، وانصرفا وبعث إليّ ببيت يسمّى عندهم الخرقة «٨٥» وهو عصيّ من الخشب تجمع شبه القبّة، وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل البادهنج، ويسد متى أحتيج إلى سدّه، وأتوا بالفرش ففرشوه، وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابه وأصحابي خارج البيت تحت ظلال شجر الجوز، وذلك الموضع شديد البرد، ومات لي تلك الليلة فرس من شدّة البرد! ولّما كان من الغد ركب المدرّس إلى السلطان وتكلّم في شأني بما اقتضته فضائله، ثم عاد إليّ وأعلمني بذلك، وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا فجئنا إلى منزله ووجدناه قائما فسلّمنا عليه، وقعد الفقيه عن يمينه وأنا ممّا يلي الفقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الحجاز ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الأعاجم، ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث الأرز والدقيق والسمن في كروش الأغنام، وكذلك فعل الترك، وأقمنا على تلك الحال أيّاما يبعث عنّا في كلّ يوم فنحضر طعامه، وأتى يوما إلينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا عن يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزّة الفقهاء عند الترك، وطلب منّي أن أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «٨٦» فكتبتها له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة، فأمره أن يكتب له شرحها باللّسان التركيّ، ثم قام فخرج ورأى الخدّام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أبزار ولا خضر، فأمر بعقاب صاحب خزانته وبعث

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٦٥/٤

بالإبزار والسمن.

وطالت إقامتنا بذلك الجبل فأدركني الملل، وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضا قد ملّ من المقام هنالك فبعث إلى السلطان يخبره أني أريد السفر، فلمّا كان من الغد، بعث السلطان نائبه فتكلم مع المدرّس بالتركيّة، ولم أكن إذ ذاك أفهمها، فأجابه عن كلامه." (١)

"ب

البادهنج: مكيّف للهواء، II /ص ٣٠٠

البرمة: القدر، VI /ص ٢٥٧

بطة، II /ص ١٥٩

بقشة، السّبنية، VI /ص ٢٣٢

بساط، II /ص ١٦٤

البواقيل، VI /ص ٢٥١

البوقات، I /ص ٣٨٠، ٣٨١ ج، II ص ٧٨، ٩٨، ١٢٧، ١٨٨، ٢٧٦، ٤٣٠

بيدر دواء، VI /ص ٣٩٩

البيسوس (الفانوس، II / (ص ٢٦٣

ت

التلّيس، II /ص ٣٥، ١٢٣

ج

الجاكر: اسم مركب، VI /ص ٥٩

الجلبة، II /ص ١٥٨

جراب، I /ص ١٠٩

جرة، I /ص ٥١

جلّاس: غطاء مثقب من النحاس، II /ص ٢٦٣

الجلّ غطاء الحيوان، III /ص ٤٢٣

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٨٦/٢

جنك: اسم يطلق في الصين على المراكب، VI /ص ٩١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٠٩

جعبة، II /ص ٤٣٦

جفن، III /ص ٤٣٣

ح

حبال، I /ص ٢٧٣ ج، II ص ٢٠٧ ج، VI ص ١٢

الحراقة: جمع حراقات: مركب بحري، II /ص ١١٦

الحزام، I /ص ١٨٧." (١)

"(٣٣) فهرس المصطلحات الحضارية

أ

الآبدارية: السقاءون،III /ص ٤٣٣

أتابك: سمة لكل من يلي ملك بلاد اللوز،II /:ص ٣٠، ٣١، ٢٢٨، ج،VI ص ٢٨٨

الأخي: رجل يقدمه أهل صناعة عليهم،II /ص ٢٦٠

الأردو: المحلة، والمحلة المعسكر،II /ص ٣٨٠

الأرغجية: كبرآء أمراء الترك وشيوخهم،III /ص ١١

أرسال: المبعوثين،VI /ص ٤

أطا: معناها الوالد أتا ترك،III /ص ٢، ج،VI ص ٢٨٨

ألقشي: راعي الأكاديش،II /ص ٣٧٣

إمام الموسم: تقليد خاص بموسم الحج، حيث يتم اختيار إمام للموسم، يكون مرجعا لكل القضايا وقد كان في أيام ابن بطوطة الشيخ خليل الافريقي،I /ص ٣٢٤، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩.

أمراء الأجناد،II /ص ١٨٨

الأمناء: نقباء،I /ص ٢٦

أمير الأخباريين،VI /ص ٢٩٨

أمير جندر،II /ص ١٢٧، ١٧٤، ج،II ص ١٩٨، ٢١٢

أمير الحاج: القصد إلى أمير ركب الحاج،I /.ص ٢٥٤.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٢٦/٥

الأصباهية: هم الرماة في بلاد الصين، VI/ ص ٢٩٧

الأعزة: الغرباء، III/ ص ٩٨

أغا: الكبير، وهو لقب أميري، II/ ص ٢٨٨

أفراج: مجموعة من الخيام، II/ :ص، III، ٣٦٩ ص ٤٤- ٤١٥

أقروف، II/ ص ٣٧٩- ٣٨٨

أولو خاتون: الوزيرة، II/ ص ٣٨٧

ب

البابا، II/ ص، III، ٣٦٩،٤٠٥ ص ٤٤- ٢٥١- ٤١٥

البادهنج: المبرد، المكيّف، II/ ص ٣٠٠

باشاي: تعني القان، امبراطور الصين، VI/ :ص ٢٩٦، وما بعد، ٣٠٠، ٣٠١." (١)

"إلي ببيت يسمى عندهم الخرقة "خركاء" وهو عصي من الخشب تجمع شبه القبة وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح مثل **البادهنج** ويسد متى احتيج إلى سده وأتوا بالفرش ففرشوه وقعد الفقيه وقعدت معه وأصحابه وأصحابي خارج البيت تحت ظلال شجر الجوز وذلك الموضع شديد البرد ومات لي تلك الليلة فرس من شدة البرد. ولما كان من الغد ركب المدرس إلى السلطان وتكلم في شأني مما اقتضته فضائله ثم عاد إليّ وأعلمني بذلك وبعد ساعة وجه السلطان في طلبنا معا، فجئنا إلى منزله ووجدناه قائماً فسلمنا عليه وقعد الفقيه عن يمينه وأنا مما يلي الفقيه فسألني عن حالي ومقدمي وسألني عن الحجاز ومصر والشام واليمن والعراقين وبلاد الأعاجم، ثم حضر الطعام فأكلنا وانصرفنا وبعث الأرز والدقيق والسمن في كروش الأغنام وكذلك فعل الترك وأقمنا على تلك الحال أياماً يبعث إلينا كل يوم فنحضر طعامه وأتى يوماً إلينا بعد الظهر وقعد الفقيه في صدر المجلس وأنا على يساره وقعد السلطان عن يمين الفقيه وذلك لعزة الفقهاء عند الترك وطلب مني أن أكتب له أحاديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبتها له وعرضها الفقيه عليه في تلك الساعة فأمره أن يكتب له شرحها باللسان التركي ثم قام فخرج ورأى الخدام يطبخون لنا الطعام تحت ظلال الجوز بغير أدام ولا خضر فأمر بعقاب صاحب خزانته وبعث بالابزار والسمن. وطالت إقامتنا بذلك الجبل فأدركني الملل وأردت الانصراف وكان الفقيه أيضا قد ملّ من المقام هنالك فبعث إلى السلطان يخبره أني أريد السفر فلما كان من الغد بعث إلي السلطان نائبه فتكلم مع المدرس بالتركية ولم أكن

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٥٤/٥

إذا ذاك أفهمها فأجابه عن كلامه وانصرف، فقال لي المدرس أتدري ماذا قال؟ قلت: لا أعرف ما قال. قال: أن السلطان بعث إلي ليسألني ماذا يعطيك؟ فقلت له: عنده الذهب والفضة والخيل والعبيد فليعطه ما أحب من ذلك. فذهب إلى السلطان ثم عاد إلينا، فقال: أن السلطان يأمر أن تقيما هنا اليوم وتنزلا معه غداً إلى داره بالمدينة ولما كان من الغد بعث فرساً جيداً من مراكبه ونزل ونحن معه إلى المدينة فخرج الناس لاستقباله وفيهم القاضي المذكور آنفاً وسواه ودخل السلطان ونحن معه فلما نزل بباب داره ذهبت مع المدرس إلى ناحية المدرسة فدعا بنا وأمرنا بالدخول معه إلى داره. ولما وصلنا إلى دهليز الدار وجدنا من خدامه نحو عشرين صورهم فائقة الحسن وعليهم ثياب الحرير وشعورهم مفروقة." (١)

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٣١/١

البردادر (البردداریة) : ٢١/٤- ٤٤٠/٥

البردة: ٥٠٣/١- ١٤٠/٢- ٢٨٩/٣، ٢٩٣." (١)

"طويل الكمّ؛ ويرخون ذؤابة لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلحق الكتف، ويركبون البغال بالكنابيش على نحو ما تقدّم.

الطائفة الرابعة أرباب الوظائف الديوانية

أما أعيانهم كالوزراء ومن ضاهاهم، فيلبسون الفراجي المضاهية لفراجي العلماء المتقدّمة الذكر، وربما لبسوا الجباب المفرجة من ورائها. وقد ذكر في «مسالك الأبصار» : أن أكابرهم كانوا يجعلون في أكمامهم **بادهنجات** «١» مفتوحة، وقد صار ذلك الآن قاصرا على ما يلبسونه من التشاريف. ومن دون هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها على ما تقدّم.

وأما ركوبهم فيضاهي ركوب الجند أو يقاربه. قال في «مسالك الأبصار» :

وتجمّل هذه الطائفة بمصر أكمل مما هم بالشام في زيّهم وملبوسهم،، إلا ما يحكى عن قبط مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات، حتّى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بأدنى اللباس ويأكل أدنى المآكل، ويركب الحمار، حتّى إذا صار في بيته انتقل من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود، قال: ولقد تبالغ الناس فيما تحكي من ذلك عنهم.

المقصد الخامس في هيئة السلطان في ترتيب الملك، وله ثلاث «٢» هيئات

الهيئة الأولى هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المظالم

عادة هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم." (٢)

"وأما ستر جدران البيت به فحرام عندهم على النوعين، وأما سترها بغيره فقال الشافعي: لا أكره للمدعو أن يدخلها، وقد كرهه بعضهم لما فيه من الخيلاء، حكاه القاضي أبو الطيب، وحكى الشيخ نصر التحريم لما روى مسلم عن عائشة، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة واللبن ". وفي سنن البيهقي عن أبن عباس: " لا تستروا الجدران بالثياب ". وقال ابن يلدجي من أئمتنا الحنفية: ولا بأس بستر حيطان البيت للبرد، ويكره للزينة، وكره محمد إرخاء الستر على البيت انتهى. ولو علم إنه يكتب الصداق في حرير، فقد أتى ما أفتى به النووي من تحريمه، إلحاقه بالإفتراش وفيه نظر، فإنه ليس

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٠١/١٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤٥/٤

استعمالاً من الرجل ورسم الكتاب فيه بمنزلة نقش ثوب المرأة ونسجه، وهو لا يحرم، وبالجواز أفتى الفخر ابن عساكر مفتي الشام وشيخه العز بن عبد السلام من الشافعية وأئمتنا الحنفية.

الرابع – أن الحرير ليس بقيد، فإن افتراش جلود النمور حرام عندهم، كما قاله الحليمي وابن المنذر وغيرهما، وكذا المسروق والمغصوب ونحوهما.

الخامس – أن قوله: ومن المنكر صور الحيوانات. هذا إذا كانت غير مقطوعة، إما إذا كانت مقطوعة فليست من المنكر.

الصور

وقال البلقيني: ولا بأس مطلقاً بصور الشجر والشمس والقمر انتهى. لأنه ليس على صورة حيوان، ولا هي ذات روح، والذي ورد النهي فيه الصور المنتزعة، وأما حيوان لم يشاهد مثله كإنسان له جناح طائر وطائر له وجه إنسان، ففيه وجهان: أحدهما قول أبو الطيب: لا يحرم، والثاني وبه جزم المتولي: المنع. ولا فرق بين أن يكون للصورة بروز وظل أم لا، وخصه بعضهم بما إذا كان له بروز وظل. وقال في شرح مسلم: أجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره، وحيث قلنا لا يحرم فهو مكروه انتهى.

ثم لا فرق في صور الحيوان بين أن يكون على سقف أو جدار أو ثوب ملبوس كما مر، وكذا لو كانت على ستر معلق أو وسائد كبار منصوبة لا يتكأ عليها، سواء كان الحيوان صغيراً أو كبيراً، لأنه صلى الله عليه وسلم أمتنع من الدخول على عائشة لما قدم من سفره وقد سترت على ضربها ستراً فيه الخيل وذوات الأجنحة، فأمر بنزعها وفي رواية: " فقطعنا منه وسادة أو وسادتين وكان يرتفق بهما " متفق عليه. قال العمري في الجواهر: ولا فرق بين أن تكون الصور لزينة أو انتفاع، كستر باذهنج أو باب أو بسخاناه، لوقاية حر أو برد عند الجمهور انتهى.

نعم يستثنى اللعب للبنات. وقد ترجم ابن حبان في صحيحه لإباحه ذلك، ونقله القاضي عياض عن العلماء وتابعه النووي في شرح مسلم، ونقل عن أبي سعيد الأصطخري أنه لما ولي حسبه ببغداد أزال أسواق المنكر وأبقى سوق اللعب. لكن في منهاج الحليمي أنها حرام، لأن القائل بالجواز يعلل ذلك باعتيادهن تربية الأولاد وملاطفتهن، وهذه علة واهية لا تصلح أن تكون باعثة على حكم الشرع، ذكره ابن العماد.

قلت: وفي زماننا إنما يصنعونها بغير أيد وأصابع رجل، فهي غير صورة كاملة، فهي أولى بالجواز، والله أعلم.

فإن كانت الصورة على فرش تداس بالرجل، أو على مخاد يتكأ عليها، أو على بساط أو أرض، فلا بأس بها، لما تقدم من حديث عائشة، لكن قال السبكي: إنه لا دليل فيه لجواز أنه لما قطع زالت كيفية الصورة،

وحديث: " لا تدخل الملائكة بيت فيه كلب ولا صورة " يشمل ذلك، والمراد بالملائكة سوى ملائكة قبض الأرواح والحفظة بالاتفاق انتهى.

وفي معناها الطبق والخوان والقصعة ذكره النووي، ولو كانت الصور في الممر دون موضع لجلوس فلا بأس بالدخول والجلوس، ولا يترك إجابة الدعوة بهذا السبب.

وكذا لا بأس بدخول الحمام الذي بابه الصور، لأن المجاز محل الانتهاك لا التعظيم، فأشبه الأرض. قال السبكي: ولعل هذا محمول على من لا يقدر على إزالتها، أما من يقدر على إزالتها فينبغي أن يجب عليه ذلك، فإن تركه أثم، وليس في كلام الأصحاب مخالفة لذلك، ولا يلزم من ذلك تحريم الدخول كما قالوه انتهى. وأما دخول البيت الذي فيه الصور فهل هو حرام أو مكروه؟ وجهان. وإلى الكراهة مال الأكثرون. وأما لبي الثياب التي عليها الصور للرجال أو النساء فلا يجوز، وهو أولى بالمنع من الصور التي على السقوف المعلقة.." (١)

"فقال: اشترينا خمسمائة كوز، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً بردوا ذلك في **الباذهنجات** (١) التي لهم. ولا شك أنه كان عالي الهمة ممجداً مسوداً.

واعتكف في مئذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام، فكتب إليه السراج الوراق:

ثلاثة أيام قطعت لطولها ... ثلاث شديدات من السنوات

حجبن محيا الصاحب ابن محمد ... لتجمع بين الحسن والحسنات

وما كاد قلبي أن يقر قراره ... لأني بمصر وهو في عرفات وقال الحكيم شمس الدين ابن دانيال (٢) يهجوه:

يحتاج ذا التاج من يرصعه ... بدره تحت دالها كسره

فمن رأى عنقه الطويل ولا ... ينزل فيه يموت بالحسره ٤١٧ (٣)

الأثير ابن بنان

محمد بن محمد " بن محمد " (٤) بن بنان الأنباري، أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب؛ من أهل مصر وأصله من الأنبار؛ قرأ الأدب وسمع الحديث، وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاملاً بليغاً، يكتب الخط الحسن ويقول

---

(١) الباذهانج: انبوب يشبه ذلك الذي يستعمل للتهوية (دوزي) .

---

(١) فص الخواتم فيما قيل في الولائم ابن طولون ص/٢٣

(٢) الوافي: ناصر الدين ابن النقيب.

(٣) الوافي ١: ٢٨١ والزركشي ٢٥٢ والشذرات ٤: ٣٢٧ وعبر الذهبي ٤: ٢٩٤ ومختصر الدبيثي ١: ١٢٣ وحسن المحاضرة ١: ٣٧٥.

(٤) زيادة من الوافي والزركشي.." (١)

"قديما بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد كالفالج واللقوة «١» ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء صنفها في سنة خمس وخمسين وأربعمائة بأنطاكية، وقال في آخرها وأظنه بخطه: قال المختار بن الحسن: صنفت هذه المقالة لصديق لي في سنة ٤٥٥ وأنا يومئذ مكدود الجسم، منقسم الفكر في جمع الآلات لبناء بيمارستان بأنطاكية.

وقال في أثناء هذه المقالة: ومما يدل أيضا على اختلاف أحوال البلاد بتنقل القرانات ما حكاه لنا مشايخ أهل حلب أن شجر النارنج ما كانت تنبت بحلب لشدة بردها، وأن الدور القديمة كلها لم يكن يستطاع السكنى في الطبقة السفلى منها. وأن **البادهنجات** حدثت منذ زمان قريب حتى أن لادار إلا وفيها عدة **بادهنجانات** بعد أن لم يكن بحلب ولا واحد.

ووجدت في تعليق لي خرج ابن بطلان من بغداد سنة تسع وثلاثين وأربعماية، وسافر إلى الشام ودخل مصر سنة أربعين وأربعمائة وأقام بها ثلاث سنين. ثم عاد إلى القسطنطينية وأقام بها سنة ثم خرج منها إلى حلب وأقام بها مدة. وبأنطاكية وكان يتردد من إحداهما إلى الأخرى إلى أن ترهب بأنطاكية.

ومات بها بعد خمس وخمسين. (٨٦ و) ف

وكان القاضي كسرى- قاضي حلب- قد أسن، وانحدر إلى ركبته مرض أزمنه ومنعه من المشي فجاءه أبو غانم وهو ابن بنت القاضي كسرى بابن بطلان الطبيب فنظر إلى موضع الألم وقال أدخلوه إلى حمام حارة. واتركوه بها حتى يغشاه الكرب ويضيق نفسه ولا تمكنوه من الخروج فإذا غلبكم على رأيكم وقام خارجا بنفسه فخذوا ماء باردا واضربوا به فخذه إلى ركبته فإنه براء.

فأدخلوه إلى حمام الكنيسة عند باب الجامع- وهي حمام النطاعين وقد دثرت الآن- وفعلوا به ما قال. فأراد أن يستريح. وطلب ذلك منهم فقالوا له: هاهنا جماعة وعوراتهم." (٢)

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢٥٩/٣

(٢) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٤٤٦/١

"صدى مقتل الحسين

في التاريخ الإسلامي والأدب العربي

للأستاذ ضياء الدخيلي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ولما كان يوم عاشوراء من سنة ٥١٦ هـ جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب (الباذهنج) في القصر وكان ذلك بعد قتل الأفضل وعود الأسمطة إلى القصر – على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقرانيز (ويقول البعض هي على ما يظهر ثياب خاصة ملونة بالقرمز) وإذن للقاضي الداعي والإشراف والأمراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حافاة، وعبئ السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية وتقدم إلى وإلى مصر والقاهرة بأن لا يمكننا أحداً من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عاداتهم.

قال وفي ليلة عاشوراء من سنة ٥٢٧ أعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضي إلى تربة قبر) أمير الجيوش وحضور جميع لمتصدرين والوعاظ وقراء القرآن والمكث إلى آخر الليل والعودة إلى داره، واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الأرض متلثماً يرى به الحزن وحضر في شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة.

هذا ما كان يحدث من احتفالات في ذكرى مصرع سيدنا الحسين (ع) قبل أن يشاد الضريح الحسيني حيث دفن فيه رأس الأمام الشهيد منقولا من عسقلان. أما بعد ذلك تحدث أبن الطوير عما كان يصنع في عاشوراء فقال: إذا كان اليوم العاشر من المحرم أحتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم ليكونوا كما هم عليه اليوم (في عهد الناقل أبن الطوير) ثم صاروا إلى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

مأتم عاشوراء واقتحام الشيعةالنار فيه

---

(١) مجلة الرسالة أحمد حسن الزيات ١٧/٨٥٥

س١ من صاحب الإمضاء في زنجبار إلى حضرة جناب الأفخم العلامة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا المحترم دام إقباله.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سيدي بِطَيِّ الأحرف ورقة قطعناها من الجريدة الرسمية بزنجبار أحببنا أن نطلعكم عليها، مضمونها أن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية يوقدون في ليلة العاشرة من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارًا قوية ويمرون فوقها ولا تحرقهم، وكنا قبل نسمع بهذا العمل أنه في الهند، وهذه السنة شاهدنا بأعيننا هذا العمل بطرفنا.

ويزعمون أنها معجزة من معجزات أهل البيت، وكذلك يزعمون أن شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم، وقد كثر من إخواننا الشيعة بطرفنا مثل هذه الأشياء، ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله روحه لكان أكثر الناس تشيعوا، وقد عرفناكم بذلك لأجل أن تبينوا لنا الحقيقة على صفحات المنار حتى ينجلي ما التبس علينا، ولكم من الله الأجر، ومن خلقه الشكر، والسلام.

من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩.

ترجمة

ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الإنكليزية

أرسل إلينا الوصف الآتي للأعياد المحلية لعاشر المحرم ولعله يلذ القراء:

من المعلوم الذي لا شك فيه أن تذكار استشهاد الحسين هو من أهم الأعياد الإسلامية؛ لأن أول صدع عظيم حدث في الإسلام كان بناءً على هذا الحادث، أعني مسألة الحق بالخلافة.

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشعور انفعالي عظيم ذي تأثير شديد، ففي ليلة العاشر من المحرم يضرب المخلصون صدورهم ورؤوسهم، ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنغمة مؤثرة تبكي الناظرين، بل تحزن صدر السنيين، وغيرهم من المتفرجين، ولا يصاب أحد من المخلصين بضرر، ثم ذكرت الجريدة الرسمية أن عاشوراء هذه السنة

كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اهـ.

(ج) إن اقتحام بعض أفراد الشيعة الإمامية النار في الاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين السبط – عليه السلام – في عاشوراء له نظير عند بعض المنتمين إلى الطريقة الرفاعية وغيرها من طرق المتصوفة، ومنهم من يحمي حديدة في النار حتى تحمر ثم يلحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها، وكثير من الناس المنتمين إلى أديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال غريبة في نظر جماهير الناس.

وهذه الأعمال الغريبة التي تتناقل جميع الأمم أخبارها ثلاثة أنواع:

(أحدها) صناعة الشعوذة التي يحذقها بالتعلم والتمرن وخفة الحركة أناس كثيرون، فيأتون من الأعمال ما يعجز عنه غيرهم، وقد تخيل إلى الناظر الشيء على غير صورته أو حقيقته، كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويلقي لعابه عليها، وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تكفي لعلوق النار بالمقتحم، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها، وقلما تعلق بثوب أحد منهم.

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بخواص الأشياء كعلم الكيمياء والكهرباء وغيرهما، وإنما تكون غرائب عند الجاهل بأسبابها، وكذلك النوع الأول، إنما يراه غريبًا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتخيل.

(النوع الثالث) غرائب مصدرها تأثير النفس الإنسانية بقوة إرادتها وغيرها من الخواص الروحانية كاستعدادها للعلم ببعض الأمور الواقعة أو المستقبلة من غير طريقي الحس والفكر، وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتًا عظيمًا بالاستعداد الفطري وبالرياضة الروحية.

والمتكلمون يطلقون على كل ما جاء على خلاف المعروف المعهود مما لا يعرف له سبب كلمة (خوارق العادات) ، ويعدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسله – عليهم السلام – ويسمونها المعجزات، والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيرًا؛ لأن ما يتكرر هو عادي؛ لأنه يعود كما بدأ، وكل ما كان من علم أو

صناعة أو قوة نفسية تستخدمها الإرادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر؛ لأن صاحبه يفعله بإرادته واختياره، وانحصاره في أفراد وفئات من الناس هو كانحصار سائر الصناعات والعلوم في متعلميها ومزاوليها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها.

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها للدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة عنه فليست مما تتعلق به قدرتهم وإرادتهم بحيث يأتونها متى شاؤوا كسائر أفعالهم الاختيارية ولا مما يتلقى بالتعليم، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسله الذي أكمل دينه به أن يجيب من اقترحوا عليه الآيات بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ٥٠) بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٣) ولكنها من شؤونه تعالى يجريها على أيديهم متى شاء، إما بغير كسب منهم ألبتة كإعجاز القرآن وعصا موسى، وإما مقارنة لكسب ما منهم يأتونه بإذنه ليس له من التأثير في خرق العادة إلا الصورة؛ كرمي نبينا – صلى الله عليه وسلم – المشركين بقبضة من الرمل على البعد منهم أصابت أعينهم على كثرتهم وبعدهم عنه واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي، وذلك قوله تعالى له: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧) ومن هذا القبيل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى – عليه السلام – وإن جاز أن تكون قوة روحانيته الوهبية هي المؤثرة بإذن الله تعالى فيه، وكرامات الأولياء أكثر ما تكون من النوع الثالث للغرائب.

وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء، وإنما هو صناعة تؤخذ بالتعلم والتمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الغرائب المعتادة التي يقصد بها الكيد والمكر والخداع، ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه، وقال تعالى لموسى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩) وقال في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦) وذكر أن هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر ببابل، وخوارق العادات لا تكون بالتعلم كما تقدم؛ وفاقًا لما قاله الشيخ

محيي الدين بن العربي.

إذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة للنار هو مما ذكرنا من العادات المكررة، والشجرة التي زعموا أنها تقطر دمًا في شهر المحرم لا وجود لها، فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال، لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها، ولما جاء هذا السؤال سألت بعض أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وإيران والعراق، فقال: لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في إيران ولا في العراق. وهذه الأقطار الثلاثة هي مواطن الشيعة الإمامية ومأوى الملايين منهم، وفيها معاهدهم الدينية الكبرى، فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها؟ !

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا دخل فيه لصنعة ولا خفة وأنه كرامة لأهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأي دخل في ذلك لمذهب الإمامية ومقتض لترك غيره إليه؟ وهل هو إلا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المعروفة في أكثر مسائل العبادات والمعاملات، ومخالف لها في مسائل قليلة كما يخالف بعضها بعضًا، وجميع أصحاب المذاهب الإسلامية يجلون آل بيت رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ويحبونهم ويوالونهم ويرون أنهم أهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبرؤون من أمير المؤمنين علي المرتضى – كرم الله تعالى وجهه – ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين. وأس الإسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الأول، وكل ما وقع فيه الخلاف بين أئمة العلم والفقه فهو من المسائل غير القطعية في الدين التي يختلف فيها الاجتهاد، ولا ينحصر الصواب فيها بفرد من الأفراد، وفي كل من المنتمين إلى المذاهب المنتشرة صالحون وطالحون، وأبرار وفجار، فإن أوتي أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجعلها حجة في ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها، ولو كان حجة لاستغنى به عن الاجتهاد والاستدلال.

***

استطراد في تفرق المسلمين
والعبرة بمأتم عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل مرارًا، وإنه ليحزننا أننا لا نزال في أشد الحاجة إلى تكرير تذكير عامة إخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الأقطار بأنه قد آن لهم أن يتركوا هذا التغاير والتناظر في المذاهب الذي أضعف الدين، وفرق كلمة المسلمين، فإن المصائب العامة المشتركة أفصح معلم، وأحكم مؤدب، وقد توالت عليهم نذرها، ووضحت لهم عبرها، ولا سيما في هذه السنين، ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٦) بلى قد رأى الأكثرون ما لم يكونوا يرون، ولكنهم لا يزالون يعمهون، وقد أضاعوا معظم الفرص، ولا يزال لديهم مجال للعمل، فإن أضاعوا بقية الفرصة فهم هالكون.

قد كانت ذكرى قتل الحسين وإقامة المآتم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية وأتباعهم زيادة التفريق بين المسلمين، وتأريث الضغائن والأحقاد بينهم، استرسالاً مع تلك الدسائس المجوسية التي دست في الصدر الأول الكيد للمسلمين الذين أزالوا ملك المجوس وسلطانهم الديني وملكهم الكسروي، وكان جميع الصادقين في الإسلام من شيعة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به، وظل بعض المتعصبين يقصد بمثله في بعض الأوقات تقوية العصبية والتذكير بأخذ الثأر من المعتدين الظالمين، ولكن من هم اليوم؟ وإعادة الحق إلى الأئمة الوارثين، وأين هم اليوم؟ فعل العباسيون ببني أمية فعلتهم، وفعل العبيديون بالعباسيين فعلتهم، وصار المسلمون دولاً كثيرة أحاط بها الخطر منذ قرنين أو أكثر، فأي استعداد اتخذ لذلك في مجموع الأمة الإسلامية، أو في أي مملكة من ممالكها؟ أين هم من العمل بما صح مِن أن مَنْ مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية؟ لقد مزقوا نسيج الوحدة، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم إلا أسباب الفرقة، ولقد صار هذا المأتم كسائر ما أحدث المسلمون المختلفو المذاهب من الاحتفالات باسم الدين، عادات تقليدية تشبه الملاهي التي يجتمع الناس لسماع

القصص التاريخية والخيالية، بل هي أقل فائدة وأكبر ضررًا من تمثيل القصص المذكورة في الأمم الحية.

لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجد لجعلوا الاجتماع في عاشوراء لذكرى مولد الإمام الحسين - عليه رضوان الله وسلامه - وسيلة سياسية لإحياء المقصد العظيم الذي بذل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله، لا حدثًا دينيًّا يزيد تفريق الكلمة، ولا لعبًا بالسلاح والنار وندبًا بالخطب والأشعار لا يبعث على إقامة حق، ولا تجديد ملك، بل هو إما أن يضر وإما أن لا ينفع، ذلك المقصد الذي لم ترتق أمة من الأمم الراقية في هذا العصر إلا على أيدي رجال من أهله يصح أن يسموا حسينيين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل دك سلطان الظلمة المستبدين بأمتهم، وإقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الأمة مكانها، ذلك هو الإمام الأعظم لمن تسميهم الأمم العزيزة اليوم بالفدائيين المنقذين لها، فهل يوجد أحد من زعماء مأتم عاشوراء في قطر من الأقطار بث هذه الفكرة فيه، أو فكر فيها؟

***

شاهد تاريخي في مأتم عاشوراء

كان الباطنية من زنادقة المجوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيعة آل البيت ذريعة إلى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفًا، وسبق لنا بيانه من قبل، وكان جل كيدهم موجهًا إلى جعل ملك الإسلام في قبضتهم ليمكنوا من قتله بسيفه، وقد نجحوا بتأسيس الدولة العبيدية الفاطمية بمصر، ولكن هذه الدولة زالت قبل أن يتمكنوا من إزالة الإسلام بها، وهذه الدولة هي التي أحدثت مأتم عاشوراء في مصر للمقصد الذي قامت به، وإننا نورد من تاريخ المقريزي الشهير صفة مأتم عاشوراء عندهم وهو:

***

ما كان يعمل في يوم عاشوراء

قال ابن ذولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله: في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين: قبر كلثوم

ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين – عليه السلام – وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الروايا، وسبوا من ينفق في هذا اليوم، ونزلوا حتى بلغوا مسجد الربح، وثارت عليهم جماعة من الرعية أسفل، فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر، وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز، ولولا ذلك لعظمت الفتنة؛ لأن الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الأسواق، وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الإخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة، وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة، وتتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل: من خالك؟ فإن قال: معاوية. أكرموه، وإن سكت لقي المكروه، وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكّل بالصحراء ومنع الناس من الخروج.

وقال المسبحي: وفي يوم عاشوراء – يعني من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد، ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم: لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم، ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء. ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم، وسبوا السلف، فقبضوا على رجل ونودي عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها – صلى الله عليه وسلم – وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه.

وقال ابن المأمون: وفي يوم عاشوراء – يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة – عبي السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش، وهو السماط المختص بعاشوراء، وهو يعبى في غير المكان الجاري به العادة في الأعياد، ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم،

والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس، وجميع الزبادي أجبان وسلائط ومخللات، وجميع الخبز من شعير، وخرج الأفضل من باب فرد الكم، وجلس على بساط صوف من غير مشورة، واستفتح المقرئون، واستدعى الأشراف على طبقاتهم، وحمل السماط لهم، وقد عمل في الصحن الأول الذي بين يدي الأفضل إلى آخر السماط عدس أسود، ثم بعده عدس مصفى إلى آخر السماط، ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل، ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب **الباذهنج** – يعني من القصر – بعد قتل الأفضل، وعود الأسمطة إلى القصر على كرسي جريد بغير مخدة متلثمًا هو وجميع حاشيته، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز، وأذن للقاضي والداعي والأشراف والأمراء بالسلام عليه، وهم بغير مناديل ملثمون حفاة، وعبي السماط في غير موضعه المعتاد، وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية، وتقدم إلى والي مصر والقاهرة، بأن لا يمكنا أحدًا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين، وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم، قال: وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الأجل الوزير المأمون على السنة الأفضلية من المضي فيها إلى التربة الجيوشية، وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن إلى آخر الليل وعوده إلى داره، واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك، وجلس الخليفة على الأرض متلثمًا يرى به الحزن، وحضر من شرف بالسلام عليه، والجلوس على السماط بما جرت به العادة.

قال ابن الطوير: إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود، وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسيني، وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرًا، والقاضي والداعي من جانبيه والقراء، يقرؤون نوبة بنوبة، وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرًا يرثون به أهل البيت – عليهم السلام – فإن

كان الوزير رافضيًّا تغالوا، وإن كان سُنيًّا اقتصدوا، ولا يزالون كذلك إلى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون إلى القصر بنقباء الرسائل، فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب،فيجدون الدهاليز قد فرشت سماطها بالحصر بدل البسط، وينصب في الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتحلق بالمصاطب لتفرش، ويجدون صاحب الباب جالسًا هناك، فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه، والناس على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضًا، ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الساذجة والأعسال النحل، والفطير والخبز المغير لونه بالقصد، فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للأكل منه، فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير، والمذكوران إلى جانبه، وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك، فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانًا بذلك الزي الذي ظهروا فيه، وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم، وأغلق البياعون حوانيتهم إلى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اهـ ما جاء في تاريخ المقريزي عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الإمام الحسين، ثم قال في باب بيان أعياد الفاطميين ومواسمهم ما نصه:

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن، وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره، وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير، فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون، ويدخلون الحمام جريًا على عادة أهل الشأم التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي؛ لأنه قتل فيه، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط، وكل الفعلين غير جيد، والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط، وما أحسن قول أبي الحسين

الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء، وكتب بها إليه ليلة عاشوراء عندما أخر عنه ما كان من جاريه في الأهراء:

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي ... والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلي الصمد ... إن لم يبادر لنجاز موعدي
لأحضرن للهناء في غد ... مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يُرْمَى به الأشراف من التشيع، وأنه إذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك؛ لأنه من أفعال الغضب، وهو من أحسن ما سمعته في التعريض، فلله دره.

____________." (١)

"وإذا مبعر عليه من الحشمة ... ما لم يكن لقصر المعزّ
جوسق مشرف وزلّاقة مل ... ساء مرصوفة بطين ومزّ
ورواق **وبادهنج** وسابا ... ط وكرم معرّش فوق نشز
فترى تقلّب الخصا في عناقي ... د بواسيره يهمّ بقفز
بات بيضي مكردنا منه في تنور ... نار يشويه شيّ الأوزّ «١»

ومنه قوله: [الرمل]

لا تخالوا خاله في خدّه ... قطرة من صبغ جفن نطفت «٢»
تلك من نار فؤادي جذوة ... فيه شبّت وانطفت ثم طفت «٣»

ومنهم:

٤٨- أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي المعروف بحيص بيص «٤» .

فقيه تبادى «٥» وطوّل طرطوره «٦» ، وحوّل أموره/ ٥٢٥/وبرز في زيّ العرب في هيئة." (٢)

"لا تحسبوا طول حمل الكاس في يد من ... أحببته أنّه ساه ولا ناسي
لكن رأى وجهه فيها وأعجبه ... جماله فأطال الحمل للكاس

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ٣٤/٢٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٩١/١٥

وحكي أنّه كان له صديق يسر بموافقته، ويصرّ على مرافقته. كانا نجيّين في السّرور، ويضعان ويرتشفان الحبور ويرتضعان، ثمّ حصلت بينهما مقاطعة وهجرة، أظلمت ما بينهما، والكؤوس ساطعة، ومكثا على الهجران، حتى آن أن يلقي الشّتاء الجران «١» ، فهبّ يوما من منامه، وصبّ للاصطباح كؤوس مدامه، والجوّ قد مرحت فيه قطع الغيم، ولبس منه صدور البراءة وحلّة الأيم. فلمّا برئت من الشّفق الجراح، وتعلّق السّحاب دون السماء تعلّق القطاة بالجناح، تذكّر عهد صاحبه المفارق، وساقه إليه من شعاع المدام وميض البارق، فكتب إليه: [البسيط]

إلى متى ذا التواني يا نديم فقم ... والق المدام بإكرام وإعزاز «٢»

فيومنا بابتسام الجوّ تحسبه ... من عقل من بات فيه صاحبا هازي

فقد تجعّد مبيضّ الغمام به ... دون السّماء فحاكى جؤجؤ البازي «٣»

فلمّا قرأها قام إليه، وقطع يمينا لا يغلو بإنفاق العمر عليه.

وحكي أنّه اتّخذ له بادهنجا تغيّر عليه هواه، ولم يحسن إرساله للنّسيم ولا هواؤه، فقال فيه: [البسيط]

قد كان لي بادهنج أستلذّ به ... في القيظ منه النّسيم الرّطب ألتمس

لكنّه، عشتم، قد مات من زمن ... أما تراه وما يبدو به نفس

وكذلك حكي أنّه رأى وردا يستخرج ماؤه، وقد فارت في الأنابيب دماؤه،." (١)

"حديث المصريين في مجلس القاضي الفاضل، فسألته: كم كانت عدتهم في عرض ديوان الجيش لما كان متوليه أيام رزيك بن صالح؟ فقال: كانت أربعين ألف فارس ونيّفا وثلاثين ألف من السودان. وحكى أن الأمير الكبير باركوج اشترى من الديوان السلطاني عدة آدر وخرابات بمصر ليستعين بأنقاضها على عمايره، وكان من جملتها دار كبيرة وصفت له وذكرت عنده، فتوجه إليها، وتسرع الغلمان لإزعاج من فيها، فسمعهم يبكون فسئل عن ذلك، فقيل له:

هؤلاء بعض عيال المصريين، فلما أخرجوا من دورهم بالقاهرة آووا إلى هذه الدار، وهم لا يعرفون أين يذهبون إذا خرجوا، فبكى واستدعى بعضهم برفق وأطاب قلوبهم ووهبهم الدار، وكتب لهم خطة بها، وجعلهم على ثقة من التصرف فيها، وما فسح لهم في بيعها أن آثروا الانتفاع بها، وانصرف عنهم معتذرا. وقال ابن مماتي: حدثني الشريف النسابة النقيب أسعد بن الحواتي، قال: سكنت في مصر بدار عتيقة الأشرف، وكانت لي زوجة كنت أبات أنا وإياها في بادهنج بها، فاستيقظت ليلة فقالت: رأيت في النوم قائلا يقول لي: احفروا تحت الطيلسان

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٢٢/١٦

الرخام الذي تحتكم وخذوا ما تجدونه من المال تنفقوا به، فقد آن ظهوره، فقلت لها أنا رجل فقير، وهؤلاء الأشراف لا يطاقون، وأخاف أن ينكسر الطيلسان في قلعه ولا نصيب شيئا فأتعجل الغرامة، ومنعتها منه بكل حيلة، ثم رأت المنام بعينه مرة أخرى، وجريت على العادة في الامتناع، ثم رأت المنام ثالثا وكأنه يقول لها: أنتم محرومون، وما مضت إلا أيام يسيرة حتى أحرقت مصر، فما شعرت إلا وجماعة كبيرة من السودان قد هجموا الدار وقصدوا **البادهنج** فقلعوا الطيلسان واستخرجوا من تحته سماوية نحاس يكون فيها قدر مائة ألف [ص ٧٦] دينار فأغمي عليّ وكدت أقتل نفسي غيظا لما فاتني من الغنى، وسألتهم أن يعطوني ولو مائة دينار، فما فعلوا، وخرجوا كأنهم دخلوا دارهم وأخذوا مالهم.." (١)

"قال: وسمعت أنهم كانوا لا يرون غسل الثياب البتة، ولا يميزون بين ما يميزه المسلمون في شيء من طاهر ونجس البتة [١] .

قال: ومن قوانينهم التي ألفت منهم أن لا يتعصبوا لمذهب من المذاهب على مذهب، وأن لا يفخموا الألفاظ والألقاب من كلام بل يتلفظ باسم السلطان كما يسمى غيره، فيقال قد تقدم قاآن أو خان [٢] بكذا وكذا، وأن لا يتعرضوا لمال ميت أصلا، ولو ترك ملأ الأرض ولا يدخلونه خزانة السلطان.

قال: وأما ترتيب العساكر والقانون المقرر في ذلك، فأعلم أنه لا ينقل في تاريخ قديم ولا حديث أن عسكرا اجتمع لسلطان كثرة كما اجتمع لهم كثرة عدد وعدد وقوة وصبرا وطاعة لسلطانهم إلا لأجل مشاهرة، ولا توقع مال وجاه بل لمجرد الطاعة حسب، ثم إذا رجعوا من القتال وكرب الحرب إلى السكون، والسلم [٣] ، أخذ السلطان فيهم القلان [٤] والقبجور [٥] والأولاق [٦] والبدرقة [٧] من غير ضجر

- عصى من الخشب يجمع شبه قبة، وتجعل عليها اللبود ويفتح أعلاه ولدخول الضوء والريح جعل **البادهنج** ويسد متى أحتيج إلى سده (رحلة ابن بطوطة ٢٠٠) .

[١] انظر جهانكشاي، الترجمة العربية ١/٦١- ٦٨٠) .

[٢] القاآن: أول مرة يكتبها المؤلف صوابا، ويبدو أنه نقلها عن علاء الدين عطا الله جويني، والقاآن هو الملك الكبير والخان هو الأمير.

[٣] انظر: جهانكشاي ١/٦٣.

[٤] القلان: دراهم ترصد برسم الكلق مقررة على البلاد (حاشية المخطوط ص ٤٨) ضريبة كانت موجودة

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٣٥/٢٤

قبل القويجور، تجبى من المسلمين وغير المسلمين (تركستان ٦٥٦) .

[٥] القبجور: من نوعه (أي أنه رسم مقرر) (حاشية المخطوط ص ٤٥) القوبجور ضريبة تجبى (رأس من كل مائة رأس) وتوزع على الفقراء والمعوذين (تركستان ٦٥٦) ويقول عن ابن العبري: مراعي ذوات اوربع (ابن العبري ٤٥٩) .

[٦] الأولاق: خيل البريد (حاشية المخطوط ٤٥) الولاق هو خيل البريد (رحلة ابن بطوطة ٢٦٢) وهو اولا غ وهو البريد عامة والبريد الخاص يسمى ناريت أو بارين تاريت والبريد العادي بيات أو تيان ينات (تركستان ٦٥٧) .

[٧] البدرقة: في معنى البائزة: البائزة لوح البريد (حاشية المخطوط ٤٥) والبائزة كانت عبارة عن لوحة من-." (١)

"عمل الإسكندرية وغير ذلك، والنصافي والبياض، ويعمل أكابرهم **البادهنجات** [١] «١» في الأكمام، ويلبس البغالطيق من تحت فراجيهم، وربما لبسوا الجباب المفرجة من ورائها، ويختلف ركوبهم، وغالبه شبيه بالجند أو يقارب له، وتجمل هذه الطوائف بمصر أقل مما هم عليه بالشام في زيهم وملبوسهم ومركوبهم، إلا ما يحكى عن قبط مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات حتى أن الواحد منهم يكون في ديوانه بأردأ [٢] اللباس ويأكل أدنى المأكل، ويركب (المخطوط ص ٢٢٠) الحمار حتى إذا صار في بيته، انتقل من حال إلى حال، وخرج من عدم إلى وجود.

ولقد يبالغ الناس فيما يحكى من ذلك عنهم، لبعد أحوالهم [٣] وتباين أمورهم [٤] «٢» فأما التجار وأخلاط عامة الناس، فتختلف أحوالهم في الملابس والزي حتى أن الفقراء وإن جمعهم زي الفقر وزيقه «٣» ، وضمهم لباس التصوف، فإنهم تتباين حالاتهم في الملابس وأطوارهم في التشكلات.

---

[١] **البادهنجات** جمع مفرده **بادهنج** وهي من الكلمة الفارسية بادآهنج، فتحة تهوية (فرهنج عميد ١/٢٨٦-٢٩١) .

[٢] وردت بالمخطوط بأردى.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/١٠٨

[٣] وردت بالمخطوط أحاليهم.

[٤] وردت بالمخطوط أمريهم.." (١)

"أنت بدر أم أنت شمس فإنا ... قد رأيناك غرة في الأصائل

وكفيت الحرار يا أشرف القو ... م ومن جوده ينعي ابن باخل

الباب الثامن

في الباذهنج وترتيبه

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر

أنا نعمى من ابتهج ... أنعش الروح والمهج

وعن البحر يا نسي؟ ... ؟م حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة) :

وباذهنج علا علاء ... ولكنه قد هوى هواء

دام عليك النسيم فيه ... وكأنه يطلب الشفاء

وقال أبو الحسن عبد الكريم الأنصاري:

ونفحة باذهنج أسكرتنا ... وجدت بروحها برد النعيم

أتينا من أنيق الشكل سمح ... تراه مثل راووق النديم

صفا وجرى الهوى فيه رقيقاً ... فسميناه راووق النسيم

ومما يحسن أن ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب:

إذا الريح من نحو الحبيب تبسمت ... وجدت لرباها على كبدي بردا

وإني بتهباب النسيم موكل ... طروب وبعض القوم يحسبني

وللشيخ برهان الدين القيراطي:

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل ... بهوائه لنفوسنا تنفيس

مغرى بجذب الريح من آفاقها ... فكأنه للريح مغناطيس

وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة:

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣/٤٥٠

وباذهنج لا خلت ... ديارنا من أنسه

كأنه ميتم ... يلقى الهوى بنفسه

وله:

وباذهنج غدا في الجو منظر ... من فوق منظره تبدو على سنن

فانظر فديتك يا محبوب رفعته ... واستنشق الريح من تلقاه يا سكني

وله:

يا باذهنجي كم كذا ... تعلو على بان الحمى

ابديت حمقاً زائداً ... رفعت رأسك للسما

وله مضمناً:

ودار حكت قصر السمؤل فاغتدت ... تباهي ببنيان لها وتقول

أرى باذهنجي في الهواء ارتفاعه ... يعز على من راحه ويطول

وله مضمناً:

يا باذهنجي أما ترثي لذي حرق ... يبدي لهيب الجوى مذبات يخفيها

عودتنا صدقات من لطيف هوى ... فامنن علي بريح منك يجريها

وله مضمناً:

يا باذهنجي لا برحت من الهوى ... مثلي على حب الديار مولها

داري بحبك دائماً مشغوفة ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وله:

وباذهنج تره كغصن بان ترنح ... يهتز عند العطايا لأنه يتريح

وله ملغزاً فيه:

وذي جناح طوله ... أضعاف ما في العرض

ما جار في شرع الهوى ... وحكمه إذ يقضي

ولم يطر مع كونه ... بين السما والأرض

وقال أبو الفتح بن قادوس يهجوه:

لك باذهنج قلب صب له ... نفس يصاعد لوعة الحرق

مات النسيم به فأجمعنا ... نبكي عليه بأدمع العرق

ولصدر الدين بن عبد الحق (توفي تقريباً سنة ثمانين وسبعمائة) :

في **الباذهنج** لا تنم ... فما لمرضاه دوى

لا يأمن الشخص الذي ... يسرق في الليل الهوى

ولشهاب الدين بن أبي حجلة:

وباذهنج ريحه ... تضرم نيران الجوى

مدحته جهلاً به ... فراح مدحي في الهوى

وله مضمناً فيه:

هجا الشعراء جهلاً **باذهنجي** ... لأن نسيمه أبدا عليل

فقال **الباذهنج** وقد هجوه ... إذا صح الهوى دعهم يقولوا

وقال شهاب الدين السنبلي المالكي (توفي سنة أربع وستين وستمائة) :

وباذهنج إذا حر المصيف أتى ... أهدى النسيم وقد رقت حواشيه

مصغ إلى الجو ما ناجاه فحة ... إلا ونم عليه فهو واشيه

وأكثر الناس ولوعاً **بالباذهنج** القاضي الفاضل فإنه قال من رسالة: إني من مدة سنتين وما قاربهما وهي المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلو سعر شعري قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ديوانها مثل قولي في **باذهنج** شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور ما يناهز ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه ويعفي المحاسن بديع ابتداعه.

ومثل قولي في رجل طويل الآذان كأنهما في رأسه خفان أو قد عجل له منهما نعلان، ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما أدخلت منها الشاعر إلى بيت.

ومثل قولي في رثاء الوطن الذي درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره ما يناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولي:

في مدايح منصوصه ... وأهاجي مخصوصه." (١)

"وحكى: القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأبصار في ممالك الأمصار في ترجمة الأمر بأحكام الله أبي على المنصور في المجلد الرابع والعشرون منه أن الأمر باله بينا

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٩

هو في موكبه قبلى بركة الحبش إذ تقدمهم فمر برجل على باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء فسقاه فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أطعمتني في السؤال فإن رأى أن يكرمني بنزوله لأضيفه فقال ويحك معي الموكب فقال وأولئك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت المر وقال أيها الرجل خبرك عجيب فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وإنما أنا رجل تاجر من رعيتك لي مائة خطية فلما أكرمني أمير المؤمنين بنزوله عندي أخذت من كل واحدة شيئاً من فرشها وبعض أكلها وشربها ولكل واحدة في كل يوم طبق فاكهة وطبق طعام وطبق بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فسجد الأمر شكراً لله وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في بين المال من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ثم لم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال استعن بهذه على حالك ومرءوتك ثم ركب وانصرف، ولما زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لأصنعن طعاماً لم يسبقني إليه الأولون ولا يدركه الآخرون فقيل له لو بعثت إلى المدائن فسألت كيف صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل إلى بعض من أدرك ذلك فقال أخبرني عن الطعام الذي صنعه كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من الطيبات قال أطيبه قال حين تزوج هند ابنة بهرام كتب إلى عماله في الآفاق ليقدم على كل رجل منكم ويخلف وإلى شرطته على بلده فرأى عنده أثنى عشر ألفاً فأطعمهم في ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقعدون على بسط الديباج المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أتى كل واحد منهم بمثقال مسك فيغسل يده به فلما قاموا بعث بتلك الآنية والبسط فقسمت عليهم فقال الحجاج أفسدت على لعنك الله أذهبوا فاشتروا الجزر فانحروها في مربعات واسط وكان قد أمر بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك في أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل الدعوة عن المراوح ولم يجدوا ذبابة واحدة وكان قد عمد إلى المرافق التي في المجالس فنصب فيها أحجار الثلج وكانت الريح تفضى إليها من باذهنجات فيخرج نسيمها إلى المجالس والصحون وسئل عن عدم الذباب فقيل إنه اشترى قبل الدعوة من دور الجيران ما يمكن سرؤاه واستعار الباقي وطلي حيطانها بعسل قصب السكر فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدهوة ردت جميع الدور إلى أربابها.

وعلى ذكر الذباب فلا بأس بايراد نكتة غريبة وموعظة عجيبة وهي أن الحاكم الذي كان خليفة بمصر وادعى انه من ولد فاطمة (وبنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فسد حاله في آخر أمره وادعى الإلهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجميع الناس للإيمان به وبذل لهم نفائس الأموال وغن ذلك كان في فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرأ بعض القراء وكان حسن

الصوت (يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وغن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا لله حق قدره) فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية حتى كان الله تعالى أنزلها تكذيبا للحاكم في دعوى الإلهية وسقط الحاكم من على سريره خوفاً من أن يقتل وولي هاربا وأخذ في استجلاب ذلك الرجل إلى أن طمنه وسيره في صورة رسول إلى بعض الجزائر وأمر الريان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رئى في المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معي الريان أرسى بي على باب الجنة.." (١)

"عن غير قصد، وأنها إنما احترقت على جارى العادة فى وقوع النيران فى أماكن على سبيل الغلط وعدم التحفظ والاحتراز، ثم سكن ذلك إلى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى، فوقع الحريق فى القاهرة ومصر، وكان أول الحريق بخط حارة الدّيلم [١] ، فاحترقت دار الشريف بدر الدين نقيب الأشراف، وما يجاورها من دور [الأشراف] [٢] والمسلمين، فكان جملة ما احترق من الدور المتجاورات ما ينيف على ثلاثين دارا يقارب المائة مسكن، واشتدت النار وعظمت، واستمرت بذلك المكان أياما، وخيف أن تتصل بدار «القاضى كريم الدين» ناظر الخواص السلطانية ووكيلها، وبها أموال السلطان والأقمشة وغير ذلك من التحف، وهو يوم ذاك بثغر الإسكندرية، فرسم السلطان بركوب الأمراء لذلك، فحضر الأمراء وغلمانهم، والسقايين والقصارين وغيرهم، وركب نائب السلطنة والحجاب وأمير جاندار [٣] ، وغيرهم من أعيان الأمراء، واجتهدوا فى أمر النار إلى أن طفيت، بعد أن هدم وعدم بسببها من الدور والأموال والأقمشة والأصناف ما لا تحصى قيمته.

واختلفت الأقاويل، فقائل يقول: إنها من السماء، وقائل يقول: لعلها من قبل الملوك والأعداء، وآخر يقول: إنما فعله البطالون من الجند والحرافيش [٤] لقصد النهب، وقائل يقول: إنما هو من فعل النصارى. وترادف الحريق، وتوالى، فاحترقت عدة دور من مساكن الأمراء، وكانت النيران تقع فى أعالى الدور **والباذهنجات** [٥] ، فاحتفل الناس لذلك وتأهبوا، واستكثروا من الدّنان والخوابى، وملئوها ماء، ووضعوها فى الطرقات وعلى أبواب الحوانيت

---

[١] فى المقريزى (الخطط ٢/٨) إنها عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والأتراك فى سنة ٣٦٨ هـ فسكنوا بها فعرفت بهم.

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٦٣

[٢] ما بين الحاصرتين من «أ» ص ٩ وعبارة «ك» من دور المسلمين.

[٣] فى «أ» ص ١٠ وأمير خاندار.

[٤] الحرافيش واحدهم حرفوش، ويفهم من السياق أن مراده العامة أو الرعاع (وانظر أيضا: معيد النعم ص ٩٦) ، ولعلها من أحرنفش: إذا تهيأ للشر، أو من الحرنفش وهو الغليظ الجافى الطبع (وانظر مادة أحرنفش فى تاج العروس ٤/٢٩٧) .

[٥] **الباذهنجات**: جمع **الباذهنج**، ويقال له أيضا البادنج وهو منفذ فى سطح الدار على هيئة إسطوانة لها فتحة فى الجهة الغربية يدخل منها النسيم (عن قاموس استينجاس، وشفاء الغليل) وانظر أيضا (السلوك ٢/٢٢٢) ومطالع البدور (١/٤٥) .." (١)

"والأسواق والقياسير والاصطبلات والدروب والدور، والحريق لا يفتر، وهو لا يقع غالبا إلا فى النهار، وصار الناس يسهرون طول الليل بالنوبة، خصوصا على دور الأمراء، فإن مماليكهم وغلمانهم كانوا يبيتون على أسطحة دورهم، ويضربون الطبول بازات، ويصرخ بعضهم لبعض، وامتنع كثير من الناس من حضور الجمعة لملازمتهم أسطح بيوتهم.

ولقد صلّيت فى [بعض] [١] الجمع بالجامع الحاكمى مع أحد الأمراء الأكابر مقدمى الألوف، وكانت عادته أن يصلى معه من مماليكه وألزامه جماعة كثيرة، فرأيت الذين حضروا إلى الجامع نحو الربع ممن كان يحضر، فسألته عن سبب تخلّفهم عن الحضور، فأخبرنى أنه تركهم لحراسة داره [٢] خوفا أن تقع النار فيها، فيتداركوها بالإطفاء قبل تمكّنها.

فلما كان فى يوم الخميس العشرين من الشهر وجد ثلاثة من النصارى فى حارة العطوف، وقد رموا نارا فى بعض الدور، فما شك الناس عند ذلك أن الحريق من النصارى، وانتقلوا من الظن والاختلاف إلى اليقين والإجماع، وضرب هؤلاء وقرّروا، فاعترفوا بالحريق، ثم اعتنى بهم، فقيل: إنهم من الفلاحين، وإنهم لم يفعلوا ذلك، وإنما أقروا لما حصل لهم من ألم الضرب، فأطلقوا، هذا والسلطان ينكر أن يكون ذلك من فعل النصارى؛ لما يلقيه إليه من له اعتناء خاص بهم، ويقول المعتنى بهم: النصارى أضعف أبدانا وقلوبا من الإقدام على هذا الأمر الكبير، ويستدلون على ذلك ويوجهونه، فيقولون: إن النار غالبا إنما تقع فى رءوس **الباذهنجات**، وأعالى الدور، ودور أكابر الأمراء، ومن أين يصل النصارى إلى ذلك؟ فيرجع السلطان إليهم، ويقول: هذا لا يتوصل إليه إلا بالنّشّاب، وأشاع بعضهم أنه رأى بعض الجند بمصر يرمى النشاب إلى بعض الدور، وأن السهم لما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨/٣٣

أبعد عن القوس وأصابه الهواء أورى نارا، وكان السلطان قبل ذلك قد عرض جماعة من الجند، وقطع أخباز [جماعة منهم

[١] ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ١٠.

[٢] فى «أ» ص ١١ (دوره) .." (١)

"برد حلب

يشتد برد حلب من تاسع كانون الأول ويمتد إلى ثامن يوم من آذار وعند ذلك يأخذ باضمحلال ويعتدل الوقت. وفي الكانونين تهب ريح الشمال وينجرد الشجر وكثيرا ما يجمد الماء وتصول الضواري في الصحاري وتختفي الهوامّ وتكثر الأمطار ويقع الصقيع ويهبط الزئبق في الظل الشمالي عن الصفر نحو خمس درجات، وربما هبط في بعض السنين إلى ما هو أدنى من ذلك ففي سنة ١٣٢٩ هجرية المصادفة ١٣٢٦ رومية هبط الزئبق في شهر كانون الثاني إلى الدرجة السابعة والعشرين تحت الصفر مستمرا ذلك نحو ثلاثين يوما، الأمر الذي لم يسمع وقوع نظيره في حلب، كما نوّهنا عن ذلك في حوادث السنة المذكورة.

على أن البرد في بقية السنين مهما كان عظيما فإنه لا يزيد فيه هبوط الزئبق إلى ما دون الدرجة العاشرة تحت الصفر، وهو إذا بلغ هذه الغاية أو ما قاربها يتألم منه النحفاء والشيوخ ألما زائدا وينشأ عنه أمراض صدرية وعلل ريحية ومفاصلية، وتعظم نكايته في الأطفال، ويكثر فيه النقف والقمطلس «١» والزكام والحادر حتى يكاد لا ينجو من ذلك أحد، وأضرّ ما يكون في الشتاء خلواته الحارّة التي يجتمع فيها الناس للسهر والسمر، فيوقدون ضمنها النار حتى تصير كأنها بيت من بيوت الحمام ثم يتنازلون الماء البارد الذي قارب الانجماد أو يخرجون إلى الهواء وقد انفتحت مسامهم، واستعدّت لقبول البرد أجسامهم.

تحول العوارض الجوية في حلب

ذكر صاحب طبقات الأطباء في ترجمة الطبيب الشهير المختار بن الحسن عبدون المعروف بابن بطلان، المتوفى سنة ٤٥٨. أنه كان يعتقد أن العوارض الجوية في أصقاع حلب كانت باردة ثم تحولت إلى حرارة، مستدلا على صحة دعواه هذه بما حكاه له أشياخ أهل حلب من أن شجرة الأترجّ ما كانت تنبت في حلب لشدة

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩/٣٣

بردها وأن الدور القديمة في حلب لم تكن تستطاع السكنى في طبقتها السفلى. وأن الباذهنجات (ملاقف الهواء) حدثت في حلب منذ زمان قريب حتى إنه لا دار إلا وفيها باذهنج بعد عدم وجودها مطلقا.." (١)

"أقول: إننا بحثنا في هذه المسألة بحثا دقيقا فظهر لنا فيها عكس ما ادعاه المختار أي أن العوارض الجوية في أصقاع حلب كانت حارة ثم أخذت تتحول إلى البرد. ومن ثمة اضطررنا أن ننتقد أدلة المختار التي نقلها في هذه المسألة عن أشياخ أهل حلب، فنقول إن عدم نبت شجر الأترجّ في حلب في هاتيك الأيام لا لشدة برد حلب بل لأن هذه الفصيلة من الشجر كانت قبل سنة ٣٠٠ غير موجودة ولا معروفة في حلب وجميع بلاد سوريا والعراق ومصر وغيرها من الممالك الكائنة في المناطق المعتدلة. قال المسعودي في كتابه مروج الذهب ما خلاصته: إن هذه الشجرة يعني شجرة الأترجّ لم تكن موجودة في البلاد قبل الثلاثمائة، وإنما حملت من أرض الهند إلى غيرها بعد هذا التاريخ، فزرعت في عمان، ثم نقلت إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثرت في دور الناس في طرسوس وغيرها من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر، وما كانت تعهد ولا تعرف إلخ. وهناك دليل آخر على أن عدم نبت هذه الشجرة في ذلك التاريخ لعدم وجودها لا لشدة البرد، هو أنه كان يوجد في حلب شجر النخيل الذي هو أقل تحملا للبرد من شجر الأترج، كما يأتي بيانه قريبا. وأما عدم استطاعة السكنى في الطبقة السفلى من بيوت حلب فهو دليل قد يؤيد عكس المدعي به إذ البلاد الباردة كالأناضول، يفضل أهلها السكنى في أيام الشتاء في الطبقة السفلى على العليا، لأنها أقل تعرضا للبرد من العليا. نعم قد يكون عدم استطاعة سكنى أهل حلب في الطبقة السفلى لكثرة رطوبات البلدة في ذلك التاريخ، لعدم انتظام مجاري قاذوراتها وامتلاء خنادقها من المياه تحصينا لها مع ضيق أزقتها وكثرة أهلها المحصورين داخل سورها الذي كان يقدر بنحو النصف من مساحته الآن. ولهذا كانت الأوبئة والطواعين لا تكاد تفارق حلب. وأما عدم وجود الباذهنجات «١» فيها أولا ثم وجودها أخيرا فإن المفهوم من هذا أن البرد بينما كان في مدينة حلب شديدا، إذ تحول بغتة إلى الحرّ، ومسّت الحاجة إلى عمل الباذهنجات، وهذا مما لا يتصوره عاقل إذ أن سير التحول الجوي بطيء جدا لا يدرك حصوله بأقل من ألف سنة وأكثر، فالأولى أن يحمل تسرّع أهل حلب إلى عمل الباذهنجات على التفنن وتحسين المباني والاقتداء ببغداد عاصمة الممالك الإسلامية في الشرق بعمل الباذهنجات تلطيفا للجوّ، وتخفيفا للرطوبات.." (٢)

(١) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٤١/١

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٤٢/١

"خارج البلدة لا يشاركه أحد فيه وهي مبنية بالحجارة الهرقلية واسم معلم بنائها مكتوب على محرابها وهو (أبو بكر النصيفه) .
واسم النحات مكتوب على بابها واسمه أبو الثناء بن ياقوت وصنع لها طرازا على حائطها الأعظم ليكتب عليه ما أراد وكذلك على إيوانها فلم يتفق ذلك لأن واقفها اخترمته المنية ولم يكملها وكانت مدة عمارتها أربعين سنة وكان بها ثلاثة أدوار من الخلاوي المحكمة البناء والأبواب والخزاين وبها بأعلى الإيوان مع أعلى حاصلها المعروف بالمغارة قاعة مليحة للمدرس ولهذه القاعة باب للإيوان وآخر لصحن المدرسة وبصدر هذا الإيوان بادهنج «١» له ثلاثة أبواب وفيها بئران وصهريجان وعلى بئر منها قنطرة من الحديد عجيبة الصنعة كتب عليها (وقف هذه القنطرة واقف هذه المدرسة عبد الرحمن بن عبد الرحيم ابن العجمي على مصالح الجب في شهر ربيع الأول سنة ٦٤٠ واسم صانعها علي بن أبي بكر بن مسلم وعليها خط بالكوفي لم أتمكن من قراءته. وإلى جانب هذه المدرسة تربة الواقف دفن فيها بوصيته ولها وقف على حدته وإلى جانب قبلية هذه المدرسة مسجد قديم عمره الواقف وفتح له بابا آخر إلى قبلية مدرسته.
وإلى جانب هذا المسجد بيت كان إصطبلا للعجول التي كانت تجر الحجارة إلى المدرسة وكان الواقف إذا عاقه في طريق العجول بناء اشتراه من أهله وهدمه وكان تخشيب هذه المدرسة كالأبواب وغيرها من عجائب صنعة التبخير وقد وقف واقفها على مدرسته كتبا نفيسة من كل فن ووقف لها أوقافا عظيمة من جملتها القرشية في طريق مسكنة وحصة من قرية دادحين وشرط أن لا يتعرض لناظرها وإن اعترض أحد عليه يغلق بابها ويعود وقفها لأهله وقد شرط لها مؤذنين على بابها وشرط لهم حصة من قرية حريبل وكان لها باب من جنوبيها إلى بيوت الخطيب هاشم وقد درس بها العلماء ورحل إليها للأخذ عنهم الحفاظ المشهورون كشيخ الإسلام ابن حجر وشمس الدين ابن ناصر الدين. قلت هذه المدرسة الآن مشرفة على الخراب قد عمر في مكان إيوانها مكتب للأطفال من وقف أحمد موتياب باشا كما ألمعنا إلى ذلك في الكلام على معارف حلب ولم يبق بها سوى المسجد المتقدم ذكره والقبلية بجانبه وهي متشعثة البناء وأما بركتها فلم تزل موجودة إلا أنها مختلفة الوضع عديمة." (١)

"والجدار القبلي قبة لطيفة، وحولها ثلاثة أخر تسمى مجاريد، وجعلوا بين عقود هذه القباب وبين المنارة الرئيسية التي أعادوها بادهنجا للضوء والهواء، وكان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب، فنقلوه إلى جهة الشام، وأحدثوا أمامه أربع درجات بأرض المسجد، وإلى جانبها خزانة، وجعلوا موضع بابها الأول خلوة

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزِّي ٢٠٣/٢

للخطيب يجلس بها إلى أن يخرج للخطبة يوم الجمعة، وكان جلوسه في الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به، واتخذوا أيضا قبتين أمام باب السلام من داخله، وبنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود وزخرفوه زخرفة عظيمة، وكذلك القباب المذكورة، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى الشريف، واتخذوا له محرابا في محل الصندوق الذي كان هناك وزخرفوه بالرخام وكذا المحراب العثماني زخرفة عظيمة، وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيم الجدار القبلي، وأزالوا البناء الذي عمله أهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة، وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس، وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزّرد، وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبكا مشاجرا من الحديد وفاصلا عن يمين مثلث الحجرة ويساره فيه بابان كما سبق بسط كل ذلك في محله، وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رخام، وجعلوا فيما يلي باب الرحمة وباب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين إحداهما بالمسقف الغربي والآخرى بالمسقف الشرقي، وجعلوهما أخفض من الدكاك الشامية يسيرا، وردموهما من أتربة المسجد، واتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقي خزائن للكتب وطاقات كبارا كالأبواب المقنطرة في أعالي الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضا تكثيرا للضوء، ولم يكن بأعالي الجدار المذكور أولا غير شباك واحد، وجعلوا نظير تلك الطاقات في الجدار القبلي أيضا، وبنو الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجر، وسبب الاحتياج إلى ذلك أن أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة إلى سقفه كما سبق، ولم يكن بذلك قناطر من العقود سوى ما يلي الرحبة من الرواقين اللذين جدّدهما الناصر كما سبق، وكان الساقط من الأساطين بمقدم المسجد هو الأكثر لسقوط العقود التي كانت بين السقفين عليها وقت الحريق واشتعال النار المذيبة للرصاص الذي بين خرز الأساطين، فاقتضى رأيهم إعادة تلك الأساطين قصيرة وتكميلها إلى السقف بعقود القناطر، فأخذت القناطر حصة من الضوء، فعوّضوا ذلك بتلك الطاقات، وأكد عندهم فتحها أخذ متولي العمارة للدور التي في قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مدرسة للسلطان، وعرض الجدار القبلي يسيرا منها، وجعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضا، ثم صرف الله تعالى عزمه عن ذلك وسد فتحات الشبابيك المذكورة كلها بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار، وسدّ أيضا الطاقات التي بالجدار القبلي إلا ما يحاذي القبة التي على المحراب العثماني، فجعل لها ولما بقي من الطاقات قمريات من الزجاج وشبكات من شريط النحاس.." (١)

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ٢/١٨١

"أَوْ سُكُونِهَا جَمْعُ شُرْفَةٍ بِضَمٍّ فَسُكُونٍ فَلَوْ عَمَّرَ بِلَا إذْنٍ كَانَ مُتَبَرِّعًا لَا شَيْءَ لَهُ.

(أَوْ سَكَنَ أَجْنَبِيٌّ بَعْضَهُ) فَالْكِرَاءُ جَمِيعُهُ عَلَى الْمُكْتَرَى وَيَرْجِعُ عَلَى الْأَجْنَبِيِّ بِكِرَاءِ الْمِثْلِ فِيمَا سَكَنَهُ (لَا إنْ نَقَصَ) الْمُنْهَدِمُ كَالشُّرُفَاتِ وَنَحْوِهَا شَيْئًا (مِنْ قِيمَةِ الْكِرَاءِ) فَيُحَطُّ عَنْهُ بِقَدْرِهِ (وَإِنْ قَلَّ) كَذَهَابِ تَبْلِيطِهَا أَوْ تَجْصِيصِهَا وَيَلْزَمُ الْمُكْتَرِيَ السُّكْنَى، وَلَا خِيَارَ لَهُ، وَمَحَلُّهُ مَا لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ ضَرَرٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ الْآتِي وَخُيِّرَ فِي مُضِرٍّ إلَخْ (أَوْ) (انْهَدَمَ بَيْتٌ مِنْهَا) أَيْ الدَّارِ، وَلَيْسَ عَلَى الْمُكْتَرِي فِيهِ ضَرَرٌ كَثِيرٌ فَيُحَطُّ عَنْهُ بِقِيمَةِ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ لِشُمُولِ مَا قَبْلَهُ لَهُ لَكِنَّهُ يَمْتَنِعُ بِأَوْ وَأُجِيبَ بِحَمْلِ مَا قَبْلَهُ عَلَى مَا لَا يَشْمَلُهُ (أَوْ سَكَنَهُ) أَيْ الْبَيْتَ مِنْهَا (مُكْرِيهِ) أَوْ شَغَلَهُ بِمَتَاعِهِ أَوْ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْهُ (أَوْ لَمْ يَأْتِ) مُكْرِيهِ (بِسُلَّمٍ لِلْأَعْلَى) الْمُحْتَاجِ لِلسُّلَّمِ (أَوْ عَطِشَ بَعْضُ الْأَرْضِ) فِي الْإِبَّانِ أَوْ بَعْدَهُ (أَوْ غَرِقَ) فِي الْإِبَّانِ وَاسْتَمَرَّ حَتَّى فَاتَ أَيْ، وَلَيْسَ وَجْهُ الصَّفْقَةِ، وَإِلَّا انْفَسَخَ الْكِرَاءُ وَغَرِقَ وَعَطِشَ كَفَرِحَ وَقَوْلُهُ: (فَبِحِصَّتِهِ) قِيمَةً لَا مِسَاحَةً رَاجِعٌ لِلْمَسَائِلِ السِّتِّ الْمُخَرَّجَةِ بِلَا، وَهَذَا إذَا أَقَامَ وَخَاصَمَ، وَإِلَّا لَزِمَهُ الْكِرَاءُ (وَخُيِّرَ) بَيْنَ الْفَسْخِ وَالْإِبْقَاءِ (فِي) حُدُوثِ (مُضِرٍّ) ، وَلَوْ مَعَ نَقْصِ مَنَافِعَ قَلَّ أَوْ كَثُرَ (كَهَطْلٍ) أَيْ تَتَابُعِ مَطَرٍ وَالْمُرَادُ نُزُولُهُ مِنْ السَّقْفِ لِخِفَّتِهِ وَكَهَدْمِ أَوْ خَرَابِ بَاذَهَنْجَ، وَهَدْمِ سَاتِرٍ أَوْ بَيْتٍ مِنْهَا

ــــــQالْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْهَدْمَ فِي الدَّارِ الْمُكْتَرَاةِ إمَّا يَسِيرٌ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ الْأَوَّلُ مَا لَا مَضَرَّةَ فِيهِ، وَلَا يُنْقِصُ شَيْئًا مِنْ الْكِرَاءِ كَالشُّرُفَاتِ فَهُوَ كَالْعَدَمِ يَلْزَمُهُ السُّكْنَى مِنْ غَيْرِ حَطٍّ الثَّانِي مَا لَا مَضَرَّةَ فِيهِ لَكِنْ يُنْقِصُ مِنْ الْكِرَاءِ كَقَلْعِ الْبَلَاطِ وَسُقُوطِ الْبَيَاضِ وَيَلْزَمُ السُّكْنَى وَيُحَطُّ بِقَدْرِهِ الثَّالِثُ مَا هُوَ مُضِرٌّ كَالْهَطْلِ فَيُخَيَّرُ الْمُكْتَرِي بَيْنَ السُّكْنَى بِجَمِيعِ الْكِرَاءِ وَبَيْنَ الْخُرُوجِ، وَإِمَّا كَثِيرٌ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ أَيْضًا الْأَوَّلُ أَنْ يَعِيبَ السُّكْنَى، وَلَا يُبْطِلُ شَيْئًا مِنْ مَنَافِعِ الدَّارِ كَذَهَابِ تَحْصِينِهَا فَيُخَيَّرُ الْمُكْتَرِي كَمَا تَقَدَّمَ الثَّانِي أَنْ يُبْطِلَ بَعْضَ الْمَنَافِعِ كَانْهِدَامِ بَيْتٍ مِنْ ذَاتِ بُيُوتٍ فَيَسْكُنُ وَيُحَطُّ عَنْهُ بِقَدْرِهِ الثَّالِثُ أَنْ يُبْطِلَ مَنَافِعَ أَكْثَرِ الدَّارِ فَيُخَيَّرُ كَمَا تَقَدَّمَ وَقَدْ اسْتَوْفَى الْمُصَنِّفُ هَذِهِ الْأَقْسَامَ السِّتَّةَ.

(قَوْلُهُ: جَمْعُ شُرْفَةٍ بِضَمٍّ فَسُكُونٍ) أَيْ كَغُرْفَةٍ، وَفِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَالسَّاكِنُ الْعَيْنُ الثُّلَاثِيُّ اسْمًا أَنِلْ ... إتْبَاعَ عَيْنٍ فَائِهِ بِمَا شُكِلَ

وَسَكِّنْ التَّالِيَ غَيْرَ الْفَتْحِ أَوْ ... خَفِّفْهُ بِالْفَتْحِ فَكُلًّا قَدْ رَوَوْا

(قَوْلُهُ: فَلَوْ عَمَّرَ بِلَا إذْنٍ إلَخْ) أَيْ فَلَوْ عَمَّرَ الْمُكْتَرِي الشُّرُفَاتِ بِغَيْرِ إذْنِ الْمَالِكِ الَّذِي هُوَ الْمُكْرِي كَانَ مُتَبَرِّعًا

بِمَا أَنْفَقَهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ قَالَ ابْنُ يُونُسَ، وَلَهُ أَخْذُ نَقْضِهَا إنْ كَانَ يَنْتَفِعُ بِهِ.

(قَوْلُهُ: أَوْ سَكَنَ أَجْنَبِيٌّ بَعْضَهُ) قَالَ ابْنُ عَاشِرٍ يَعْنِي بِإِذْنِ الْمُكْتَرِي، وَلَوْ ضِمْنًا بِأَنْ سَكَتَ أَوْ غَصْبًا وَكَانَتْ تَنَالُهُ الْأَحْكَامُ، وَإِلَّا فَلَا يَلْزَمُ الْمُكْتَرِيَ جَمِيعُ الْكِرَاءِ بَلْ يُحَطُّ عَنْهُ بِقَدْرِ مَا سَكَنَ الْغَاصِبُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ قَوْلِهِ سَابِقًا وَبِغَصْبِ الدَّارِ وَغَصْبِ مَنْفَعَتِهَا مِنْ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُهُ الْبَقَاءُ، وَلَهُ الْخِيَارُ بَيْنَ الْبَقَاءِ وَالْفَسْخِ وَبَيْنَ مَا هُنَا مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ الْفَسْخُ وَيَلْزَمُهُ الْبَقَاءُ؛ لِأَنَّهُ فِيمَا تَقَدَّمَ غَصَبَ جَمِيعَ الدَّارِ، وَهُنَا غَصَبَ بَعْضَهَا فَقَطْ (قَوْلُهُ: وَلَا خِيَارَ لَهُ) أَيْ فِي الْفَسْخِ وَالْإِبْقَاءِ وَقَوْلُهُ: وَمَحَلُّهُ أَيْ مَحَلُّ اللُّزُومِ وَعَدَمُ الْخِيَارِ مَا لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ ضَرَرٌ إلَخْ قَدْ يُقَالُ يُحْتَمَلُ جَعْلُ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ، وَإِنْ قَلَّ لِلْحَالِ وَيَكُونُ مَعْنَى الْقَلِيلِ مَا لَا ضَرَرَ فِيهِ عَلَى الْمُكْتَرِي وَحِينَئِذٍ فَلَا يَكُونُ هَذَا قَيْدًا زَائِدًا (قَوْلُهُ: أَوْ لَمْ يَأْتِ بِسُلَّمٍ لِلْأَعْلَى) أَيْ بِخِلَافِ الْبَيْعِ فَلَا يَلْزَمُ الْبَائِعَ السُّلَّمُ قَالَ فِي الْمُنْتَخَبِ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ لَوْ أَبَى صَاحِبُ الْمَنْزِلِ فَلَمْ يَجْعَلْ لِلْعُلُوِّ سُلَّمًا، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الْمُكْتَرِي حَتَّى انْقَضَتْ السَّنَةُ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ لِمَا يُصِيبُ ذَلِكَ الْعُلُوَّ مِنْ الْكِرَاءِ وَيُطْرَحُ عَنْ الْمُكْتَرِي؛ لِأَنَّهُ بَاعَ مِنْهُ جَمِيعَ مَنَافِعِ الدَّارِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهَا وَتَسْلِيمُهُ لِلْعُلُوِّ هُوَ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلَّمًا يَرْقَى عَلَيْهِ إلَيْهِ بِخِلَافِ مَا لَوْ بَاعَ لَهُ الدَّارَ وَفِيهَا عُلُوٌّ لَا يَرْقَى إلَيْهِ إلَّا بِسُلَّمٍ فَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ سُلَّمًا يَرْتَقِي عَلَيْهِ كَمَا لَا يَلْزَمُهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ دَلْوًا وَحَبْلًا يَصِلُ بِهِمَا لِمَاءِ الْبِئْرِ لِأَنَّ مَا بَاعَهُ إلَيْهِ قَدْ أَسْلَمَهُ إلَيْهِ فَهُوَ إنْ شَاءَ سَكَّنَهُ، وَإِنْ شَاءَ هَدَمَهُ، وَإِنْ شَاءَ بَاعَهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ التَّصَرُّفِ فِيهِ بِمَا شَاءَ كَوْنُهُ بِلَا سُلَّمٍ. اهـ. بْن.

(قَوْلُهُ: فِي الْإِبَّانِ) الْمُرَادُ بِالْإِبَّانِ وَقْتُ الْحَرْثِ الْغَالِبِ فِي تِلْكَ الْبَلْدَةِ لَا نَفْسُ الْأَرْضِ بِانْفِرَادِهَا. وَقَوْلُهُ: أَوْ بَعْدَهُ أَيْ بَعْدَ فَوَاتِ الْإِبَّانِ (قَوْلُهُ: أَوْ غَرِقَ فِي الْإِبَّانِ) أَيْ لَا بَعْدَهُ، وَإِلَّا فَعَلَيْهِ جَمِيعُ الْكِرَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْغَرَقِ وَالْعَطَشِ أَنَّهُ فِي الْعَطَشِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ الِانْتِفَاعِ بِالْأَرْضِ إذْ عَلَى الْمُكْرِي سَقْيُ أَرْضِهِ بِخِلَافِ الْغَرَقِ فَإِنَّهُ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ حُصُولِ الِانْتِفَاعِ بِهَا وَالْغَرَقُ بَعْدَهُ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ.

(قَوْلُهُ: فَبِحِصَّتِهِ) أَيْ فَيُحَطُّ عَنْهُ مِنْ الْكِرَاءِ بِحِصَّةِ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ: قِيمَةً إلَخْ أَيْ بِحَسَبِ الْقِيمَةِ لَا بِحَسَبِ الْمِسَاحَةِ (قَوْلُهُ: وَإِلَّا لَزِمَهُ الْكِرَاءُ) أَيْ مَا سُمِّيَ مِنْ الْأُجْرَةِ بِتَمَامِهِ (قَوْلُهُ: وَلَوْ مَعَ نَقْصِ مَنَافِعَ) أَيْ هَذَا إذَا كَانَ ذَلِكَ الْمُضِرُّ غَيْرَ مُصَاحِبٍ لِنَقْصِ شَيْءٍ مِنْ الْمَنَافِعِ كَالْهَطْلِ، وَمَا بَعْدَهُ، وَلَوْ كَانَ مُصَاحِبًا لِنَقْصِ شَيْءٍ مِنْ الْمَنَافِعِ كَهَدْمِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الدَّارِ خِلَافًا لعبق حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ الْمُضِرَّ الْمُصَاحِبَ لِإِسْقَاطِ الْمَنَافِعِ لَا يُوجِبُ الْخِيَارَ وَيُحَطُّ بِقَدْرِهِ.

(قَوْلُهُ: قَلَّ أَوْ كَثُرَ) أَيْ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمُضِرُّ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا (قَوْلُهُ: بَاذَهَنْجُ) أَيْ، وَهُوَ مَلْقَفُ الْهَوَاءِ (قَوْلُهُ:

وَهَدْمِ سَاتِرٍ) أَيْ، وَهَدْمِ سَاتِرِ الدَّارِ الْمُحَصِّنِ لَهَا (قَوْلُهُ: أَوْ بَيْتٍ مِنْهَا) أَيْ أَوْ هَدْمِ بَيْتٍ مِنْهَا وَالْحَالُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرًا كَثِيرًا عَلَى السَّاكِنِ، وَمَا مَرَّ مِنْ أَنَّ هَدْمَ الْبَيْتِ." (١)

"فَصْلٌ وَلَا تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ لِكَنِيسَةٍ، وَلَا لِبَيْتِ نَارٍ، وَلَا لِكُتُبِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَا

ـــــــQيَرِثُهُ بِالتَّعْصِيبِ، سَوَاءٌ كَانَ مِمَّنْ يَرِثُهُ فِي الْحَالِ أَوْ لَا، وَيَسْتَوِي فِيهِ قَرِيبُهُمْ وَبَعِيدُهُمْ.

فَرْعٌ: لَمْ يَتَعَرَّضِ الْمُؤَلِّفُ لِذَوِي الْأَرْحَامِ، فَإِنْ قُلْنَا بِالرِّوَايَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْقَرَابَةَ كُلَّ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَرَابَةِ كَانَ حُكْمُهُمْ كَمَا سَلَفَ، وَإِنْ قُلْنَا الْقَرَابَةُ تَخْتَصُّ بِمَنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ الْآبَاءِ، فَلَا تَدْخُلُ فِيهِمُ الْأُمُّ، وَلَا أَقَارِبُهَا.

مَسْأَلَةٌ: أَوْصَى لِجَمَاعَةٍ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَعْطَى ثَلَاثَةً، فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، كَالْإِخْوَةِ، فَهُوَ لِجَمِيعِهِمْ؛ لِأَنَّ الِاسْمَ يَشْمَلُهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ ثَلَاثَةٌ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، كُمِّلَتْ مِنَ الثَّانِيَةِ، وَإِنْ لَمْ تَكْمُلْ مِنْهَا، فَمِنَ الثَّالِثَةِ.

فَوَائِدُ: أَوْصَى بِإِحْرَاقِ ثُلُثِ مَالِهِ صَحَّ وَصُرِفَ فِي تَجْمِيرِ الْكَعْبَةِ، وَتَنْوِيرِ الْمَسَاجِدِ، ذَكَرَهُ ابْنُ عَقِيلٍ، وَفِي التُّرَابِ يُصْرَفُ فِي تَكْفِينِ الْمَوْتَى، وَفِي الْمَاءِ يصرف فِي عَمَلِ سُفُنٍ لِلْجِهَادِ، وَفِي الْهَوَاءِ قَالَ شَيْخُنَا مُحِبُّ الدِّينِ بْنُ نَصْرِ اللَّهِ: يَتَوَجَّهُ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ **بَاذْهَنْجُ** لِمَسْجِدٍ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُصَلُّونَ، وَفِيهِ شَيْءٌ. وَلَوْ وَصَّى بِكُتُبِ الْعِلْمِ لِآخَرَ، لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا كُتُبُ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَوْ أَوْصَى بِدَفْنِهَا لَمْ تُدْفَنْ، قَالَهُ أَحْمَدُ، وَنَقَلَ الْأَثْرَمُ: لَا بَأْسَ، وَقَالَ الْخَلَّالُ: الْأَحْوَطُ دَفْنُهَا.

[الْجِهَاتُ الَّتِي لَا تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ لَهَا]

فَصْلٌ (وَلَا تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ لِكَنِيسَةٍ، وَلَا لِبَيْتِ نَارٍ) وَلَا لِعِمَارَتِهَا، وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمُوصِي مُسْلِمًا، أَوْ ذِمِّيًّا (وَلَا لِكُتُبِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) عَلَى الْأَصَحِّ، قَالَهُ فِي الرِّعَايَةِ؛ لِأَنَّهَا كُتُبٌ مَنْسُوخَةٌ، وَالِاشْتِغَالُ غَيْرُ جَائِزٍ، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي: لَوْ أَوْصَى بِحُصْرٍ لِبِيَعٍ وَقَنَادِيلِهَا لَا عَلَى قَصْدِ تَعْظِيمِهَا، فَهُوَ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ فِي الْحَقِيقَةِ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ؛ لِكَوْنِهِمْ يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَالْأَصَحُّ: أَنَّهَا لَا تَصِحُّ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِعَانَةٌ لَهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ، وَتَعْظِيمِ كَنَائِسِهِمْ، وَعَنْ أَحْمَدَ: صِحَّتُهَا مِنَ الذِّمِّيِّ لِخِدْمَةِ الْكَنِيسَةِ.." (٢)

"حَصَلَ فِي الدَّارِ أَوْ الْحَانُوتِ أَوْ الْحَمَّامِ أَوْ الْبِئْرِ الْمُكْتَرَاةِ خَلَلٌ (مُطْلَقًا) كَانَ يُمْكِنُ مَعَهُ الِانْتِفَاعُ أَمْ لَا، يَضُرُّ بِالْمُكْتَرِي أَمْ لَا. بِاتِّفَاقٍ فِي الْكَثِيرِ الْمُضِرِّ، وَعَلَى مَذْهَبِ ابْنِ الْقَاسِمِ فِي الْيَسِيرِ. فَالْخِلَافُ إنَّمَا هُوَ فِي

(١) الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي محمد بن أحمد الدسوقي ٥١/٤

(٢) المبدع في شرح المقنع ابن مفلح، برهان الدين ٢٦٢/٥

الْيَسِيرِ وَلَوْ مُضِرًّا.

(وَ) إذَا لَمْ يُجْبَرْ الْمُكْرِي عَلَى الْإِصْلَاحِ فَإِذَا لَمْ يَصْلُحْ (خُيِّرَ السَّاكِنُ) بَيْنَ الْفَسْخِ وَالْإِبْقَاءِ (فِي) حُدُوثِ خَلَلٍ (مُضِرٍّ) وَلَوْ مَعَ نَقْصِ مَنَافِعَ، كَهَطْلٍ: أَيْ تَتَابُعِ الْمَطَرِ مِنْ السَّقْفِ لِلْخَلَلِ الْحَادِثِ بِهِ، وَكَهَدْمِ سَاتِرٍ أَوْ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهَا أَوْ الْبَاذَهْنَجِ.

(فَإِنْ بَقِيَ فَالْكِرَاءُ) كُلُّهُ لَازِمٌ لَهُ. وَمَفْهُومُ: " مُضِرٍّ " أَنَّهُ إذَا كَانَ لَا يَضُرُّ فَلَا خِيَارَ لَهُ وَيَلْزَمُهُ السُّكْنَى. إلَّا أَنَّهُ إذَا كَانَ لَا يُنْقِصُ مِنْ الْكِرَاءِ شَيْئًا فَظَاهِرٌ، كَسُقُوطِ بَعْضِ شُرُفَاتِ الْبَيْتِ وَنَحْوِهِ مِمَّا لَا يُعْتَنَى بِهِ عَادَةً. وَإِنْ كَانَ يُنْقِصُ مِنْ الْكِرَاءِ حَطَّ عَنْهُ بِقَدْرِهِ وَإِنْ قَلَّ؛ كَسُقُوطِ تَجْصِيصِهَا أَوْ ذَهَابِ بَلَاطِهَا أَوْ هَدْمِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهَا وَكَانَ لَا يَضُرُّ وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهَا مَعَ تَنْقِيصِهِ مِنْ الْكِرَاءِ. فَإِنْ أَصْلَحَ الْمُكْتَرِي بِلَا إذْنٍ كَانَ مُتَبَرِّعًا لَا شَيْءَ لَهُ فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ. فَإِنْ انْقَضَتْ الْمُدَّةُ خُيِّرَ

ــــــQلَهُ: ادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ الضَّرَرَ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا ضَمَانَ عَلَى رَبِّهَا إنْ حَصَلَ بِسَبَبِهَا تَلَفٌ، وَبِهِ أَفْتَى الشَّيْخُ سَالِمٌ السَّنْهُورِيُّ وَأَفْتَى بَعْضُهُمْ بِلُزُومِ رَبِّ الْخَرِبَةِ بِمَا يَدْفَعُ الضَّرَرَ مِنْ عِمَارَةٍ أَوْ بَيْعٍ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ شَيْخُ مَشَايِخِنَا الْعَدَوِيُّ.

قَوْلُهُ: [وَعَلَى مَذْهَبِ ابْنِ الْقَاسِمِ فِي الْيَسِيرِ] : أَيْ وَأَمَّا ابْنُ حَبِيبٍ فَيَقُولُ: يُجْبَرُ الْمُكْرِي عَلَى الْإِصْلَاحِ فِيهَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَبِهِ الْعَمَلُ.

قَوْلُهُ: [أَوْ الْبَاذَهَنَجُ] : أَيْ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمُلَقَّفِ.

قَوْلُهُ: [فَالْكِرَاءُ كُلُّهُ لَازِمٌ لَهُ] : أَيْ لِأَنَّ خِيَرَتَهُ تَنْفِي ضَرَرَهُ.

قَوْلُهُ: [بَعْضِ شُرُفَاتِ الْبَيْتِ] : الشِّينُ مَضْمُومَةٌ وَالرَّاءُ مَضْمُومَةٌ أَوْ مَفْتُوحَةٌ أَوْ سَاكِنَةٌ.

قَوْلُهُ: [كَانَ مُتَبَرِّعًا] إلَخْ: هَذَا إذَا كَانَ الْعَقَارُ مِلْكًا وَأَمَّا مَنْ اسْتَأْجَرَ وَقْفًا يَحْتَاجُ لِإِصْلَاحٍ فَأَصْلَحَهُ الْمُكْتَرِي بِغَيْرِ إذْنِ نَاظِرِهِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ قِيمَةَ بِنَائِهِ قَائِمًا لِقِيَامِهِ عَنْهُ بِوَاجِبٍ لِلْوَقْفِ عَلَى النَّاظِرِ لَا لِأَجْلِ الْمُسْتَأْجِرِ فَالْوُجُوبُ لِحَقِّ اللَّهِ لَا لِخُصُوصِ السَّاكِنِ.

قَوْلُهُ: [فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ] : أَيْ وَهِيَ الْمُضِرُّ وَغَيْرُ الْمُضِرِّ وَلَا يَنْقُصُ الْكِرَاءُ وَغَيْرُ الْمُضِرِّ وَيَنْقُصُ.." (١)

"نَحْوَهَا وَسَكَنَ شَخْصٌ أَجْنَبِيٌّ بَعْضَهَا وَيَرْجِعُ عَلَى الْأَجْنَبِيِّ بِأُجْرَةِ مِثْلِ مَا سَكَنَهُ، وَأَمَّا لَوْ سَكَنَ صَاحِبُ الدَّارِ بَعْضَهَا فَإِنَّ الْمُكْتَرِيَ لَا يَلْزَمُهُ سِوَى حِصَّةِ مَا سَكَنَ فَقَطْ كَمَا يَأْتِي.

---

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك أحمد الصاوي ٧١/٤

(ص) لَا إنْ نَقَصَ مِنْ قِيمَةِ الْكِرَاءِ وَإِنْ قَلَّ (ش) يَعْنِي أَنَّ الشَّيْءَ الْمُنْهَدِمَ كَالشُّرُفَاتِ وَنَحْوِهَا إذَا نَقَصَ مِنْ قِيمَةِ الْكِرَاءِ شَيْئًا فَإِنَّهُ يُحَطُّ مِنْ الْأُجْرَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إذَا انْهَدَمَ مَا لَهُ جَمَالٌ كَبَيَاضٍ وَنَحْوِهِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مِنْ الْكِرَاءِ بِقِيمَةِ ذَلِكَ وَلَا خِيَارَ لِلْمُكْتَرِي وَالْكِرَاءُ لَازِمٌ لَهُ وَقَوْلُهُ وَإِنْ قَلَّ أَيْ: إنْ لَمْ يَقِلَّ بِأَنْ كَانَ كَثِيرًا بَلْ وَإِنْ قَلَّ لَكِنْ بِقَيْدِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ بِمَا إذَا لَمْ يَضُرَّ بِالْمُكْتَرِي بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدُ وَخُيِّرَ فِي مُضِرٍّ إلَخْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ لِلْحَالِ وَيَكُونَ مَعْنَى الْقَلِيلِ الَّذِي لَا ضَرَرَ فِيهِ عَلَى الْمُكْتَرِي وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَلِّ الشَّارِحِ يَظْهَرُ ذَلِكَ بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ.

(ص) أَوْ انْهَدَمَ بَيْتٌ مِنْهَا (ش) يَعْنِي أَنَّ الدَّارَ الْمُكْتَرَاةَ إذَا انْهَدَمَ بَيْتٌ مِنْهَا وَلَا فِيهِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ عَلَى السَّاكِنِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ بِقِيمَةِ ذَلِكَ مِنْ الْكِرَاءِ فَإِنْ كَانَ فِيهِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ عَلَى السَّاكِنِ فَإِنَّهُ يُخَيَّرُ بَيْنَ أَنْ يَسْكُنَ بِجَمِيعِ الْكِرَاءِ أَوْ يَفْسَخَ الْكِرَاءَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْلُهُ أَوْ انْهَدَمَ بَيْتٌ مِنْهَا لَا شَكَّ فِي شُمُولِ مَا قَبْلَهُ لَهُ فَهُوَ مِنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ بِأَوْ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ وَيُجَابُ بِحَمْلِ الْأَوَّلِ عَلَى مَا لَا يَشْمَلُ الثَّانِيَ.

(ص) أَوْ سَكَنَهُ مُكْرِيهِ (ش) يَعْنِي، وَكَذَلِكَ يُحَطُّ عَنْ الْمُكْتَرِي مِنْ الْكِرَاءِ بِقَدْرِ مَا يُقَابِلُ الْحِصَّةَ الَّتِي سَكَنَهَا الْمُكْرِي بِأَنْ أَجَّرَهُ سَنَةً مَثَلًا ثُمَّ سَكَنَ الْمُكْرِي قَدْرًا مِنْ الْعَيْنِ الْمُكْتَرَاةِ وَتَقَدَّمَ مَفْهُومُ مُكْرِيهِ فِي قَوْلِهِ أَوْ سَكَنَهُ أَجْنَبِيٌّ مِنْ أَنَّ الْكِرَاءَ يَلْزَمُ الْمُكْتَرِيَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَطَّ عَنْهُ شَيْءٌ وَالضَّمِيرُ فِي سَكَنِهِ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ بَيْتٌ مِنْهَا وَمِثْلُ سُكْنَاهُ مَا إذَا شَغَلَهُ بِمَتَاعِهِ.

(ص) أَوْ لَمْ يَأْتِ بِسُلَّمٍ لِلْأَعْلَى (ش) يَعْنِي أَنَّ الدَّارَ الْمُكْتَرَاةَ إذَا كَانَ فِيهَا عُلْوٌ وَسُفْلٌ وَلَمْ يَأْتِ الْمُكْرِي لِلْمُكْتَرِي بِسُلَّمٍ يَصْعَدُ عَلَيْهِ لِلْعُلْوِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْ الْمُكْتَرِي بِقَدْرِ مَا يُقَابِلُ حِصَّةَ الْعُلْوِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ.

(ص) أَوْ عَطِشَ بَعْضُ الْأَرْضِ أَوْ غَرِقَ (ش) يَعْنِي أَنَّ الْأَرْضَ إذَا عَطِشَ بَعْضُهَا أَوْ غَرِقَ بَعْضُهَا يُرِيدُ قَبْلَ الزِّرَاعَةِ كَمَا فِي الْمُدَوَّنَةِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْ الْمُكْتَرِي بِقَدْرِ مَا يُقَابِلُ ذَلِكَ مِنْ الْكِرَاءِ وَالْمُرَادُ بِالْبَعْضِ دُونَ الْجُلِّ، وَأَمَّا إذَا غَرِقَ جُلُّهَا أَوْ كُلُّهَا أَوْ عَطِشَ جُلُّهَا أَوْ كُلُّهَا فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَى الْمُكْتَرِي مِنْ الْكِرَاءِ أَمَّا إنْ حَصَلَ الْغَرَقُ بَعْدَ وَقْتِ الْحَرْثِ فَيَلْزَمُهُ جَمِيعُ الْكِرَاءِ وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِوَقْتِ الْحَرْثِ الْغَالِبُ فِي تِلْكَ الْبَلْدَةِ لَا نَفْسُ الْأَرْضِ بِانْفِرَادِهَا وَقَوْلُهُ (فَبِحِصَّتِهِ) رَاجِعٌ لِلْمَسَائِلِ السِّتِّ.

(ص) وَخُيِّرَ فِي مُضِرٍّ كَهَطْلٍ فَإِنْ بَقِيَ فَالْكِرَاءُ (ش) يَعْنِي أَنَّ الْمُكْتَرِيَ يُخَيَّرُ إذَا حَصَلَ هَطْلٌ فِيمَا اكْتَرَاهُ بِأَنْ صَارَ يَتَتَابَعُ الْمَطَرُ مِنْهَا أَوْ انْهَدَمَ يَسِيرٌ مِنْ جُدْرَانِ الدَّارِ أَوْ انْهَدَمَ **الْبَاذَهَنَجُ** مِنْهَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَسْكُنَ أَوْ يَخْرُجَ فَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ وَبَقِيَ سَاكِنًا بِهَا فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ جَمِيعُ الْكِرَاءِ وَقَوْلُهُ وَخُيِّرَ فِي مُضِرٍّ مِنْ غَيْرِ نَقْصِ مَنَافِعَ وَإِلَّا حَطَّ عَنْهُ مِنْ الْكِرَاءِ وَقَوْلُهُ كَهَطْلٍ تَمْثِيلٌ بِالْأَخَفِّ فَأَوْلَى الْهَدْمُ وَنَحْوُهُ.

(ص) كَعَطَشِ أَرْضِ صُلْحٍ (ش) التَّشْبِيهُ فِي لُزُومِ الْكِرَاءِ وَالْمَعْنَى أَنَّ أَرْضَ الصُّلْحِ إذَا عَطِشَتْ فَتَلِفَ زَرْعُهَا فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُمْ الْكِرَاءُ كَامِلًا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِجَارَةٍ مُحَقَّقَةٍ وَإِنَّمَا صَالَحَهُمْ السُّلْطَانُ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ مَالًا مَعْلُومًا بِخِلَافِ أَرْضِ الْخَرَاجِ كَأَرْضِ مِصْرَ فَإِنَّهَا إجَارَةٌ مُحَقَّقَةٌ وَلِأَنَّهَا أَرْضُ عَنْوَةٍ أَجَّرَهَا السُّلْطَانُ، فَإِذَا عَطِشَتْ سَقَطَتْ الْأُجْرَةُ كَمَا مَرَّ وَظَاهِرُهُ سَوَاءٌ كَانَ الْعَطَشُ قَدْ طَرَأَ بَعْدَ الزَّرْعِ أَوْ قَبْلَهُ وَالَّذِي فِي الْمُدَوَّنَةِ، وَأَمَّا أَرْضُ الصُّلْحِ الَّتِي صَالَحُوا عَلَيْهَا إذَا زَرَعُوا فَعَطِشَ فَعَلَيْهِمْ خَرَاجُ أَرْضِهِمْ انْتَهَى.
(ص) وَهَلْ مُطْلَقًا أَوْ إلَّا إنْ صَالَحُوا عَلَى الْأَرْضِ تَأْوِيلَانِ (ش) أَيْ: وَهَلْ لُزُومُ الْكِرَاءِ لِأَهْلِ أَرْضِ الصُّلْحِ سَوَاءٌ صَالَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَطْ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ فَقَطْ أَوْ عَلَيْهِمَا مَعًا وَهُوَ مَعْنَى الْإِطْلَاقِ أَوْ مَحَلُّ اللُّزُومِ إذَا صَالَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَأَمَّا لَوْ صَالَحُوا عَلَى الْأَرْضِ فَقَطْ ثُمَّ عَطِشَتْ بَعْدَ زَرْعِهَا فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُهُمْ شَيْءٌ وَبِعِبَارَةٍ وَالْمُرَادُ بِالْمُصَالَحَةِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُصَالَحَةُ عَلَيْهَا فَقَطْ بِقَدْرٍ مُعَيَّنٍ سَوَاءٌ وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى الْجَمَاجِمِ بِقَدْرٍ أَيْضًا أَمْ لَا، وَأَمَّا لَوْ وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى الرِّقَابِ فَقَطْ أَوْ عَلَيْهَا

ـــــــQ (قَوْلُهُ يَحُطُّ عَنْهُ مِنْ الْكِرَاءِ بِقِيمَةِ ذَلِكَ) بِأَنْ يُقَالَ مَا قِيمَةُ كِرَائِهَا بِذَلِكَ فَيُقَالُ عَشَرَةٌ وَمَا قِيمَةُ كِرَائِهَا بِدُونِ ذَلِكَ فَيُقَالُ تِسْعَةٌ فَيَسْقُطُ عَنْ الْمُكْتَرِي عُشْرُ الْكِرَاءِ الْمُسَمَّى (قَوْلُهُ يُقَيَّدُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ بِمَا إذَا لَمْ يَضُرَّ بِالْمُكْتَرِي) ، فَإِذَا ضَرَّ بِالْمُكْتَرِي فَيُخَيَّرُ فِيهِ بَيْنَ الْفَسْخِ وَبَيْنَ الْبَقَاءِ فَيَلْزَمُهُ جَمِيعُ الْكِرَاءِ وَلَيْسَ لَهُ الْبَقَاءُ مَعَ إسْقَاطِ حِصَّةِ الْمُضِرِّ مِنْ الْكِرَاءِ.

(قَوْلُهُ مَا إذَا أَشْغَلَهُ بِمَتَاعِهِ) وَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ مَا إذَا لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْهُ.

(قَوْلُهُ أَوْ عَطِشَ بَعْضُ الْأَرْضِ إلَخْ) أَمَّا الْعَطَشُ فَمُطْلَقٌ، وَأَمَّا الْغَرَقُ فَيُقَيَّدُ بِأَنْ يَكُونَ قَبْلَ إبَّانِ الْحَرْثِ لَا بَعْدَهُ فَعَلَيْهِ جَمِيعُ الْكِرَاءِ (قَوْلُهُ أَوْ غَرِقَ) بِكَسْرِ الرَّاءِ.
(قَوْلُهُ قَبْلَ الزِّرَاعَةِ) أَيْ: قَبْلَ إبَّانِ الزِّرَاعَةِ أَوْ عِنْدَ إبَّانِ الزِّرَاعَةِ أَيْ وَاسْتَمَرَّ الْغَرَقُ حَتَّى فَاتَ الْإِبَّانُ (قَوْلُهُ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَى الْمُكْتَرِي مِنْ الْكِرَاءِ) أَيْ: لَا شَيْءَ عَلَيْهِ فِي الْبَاقِي الْقَلِيلِ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ (قَوْلُهُ فَبِحِصَّتِهِ)

أَيْ: يَحُطُّ عَنْ الْمُكْتَرِي بِحِصَّتِهِ إنْ قَامَ بِهِ وَإِلَّا لَمْ يَحُطَّ وَعَقْدُ الْكِرَاءِ لَازِمٌ لَهُ فِي السَّنَةِ فَإِنْ ادَّعَى الْقِيَامَ وَخَالَفَهُ الْمُكْرِي عُمِلَ بِقَوْلِ الْمُكْرِي كَمَا يُعْمَلُ بِهِ إذَا تَنَازَعَا فِي وَقْتِ انْهِدَامِ بَيْتٍ مِنْهَا.

(قَوْلُهُ صَالَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) أَيْ: فَقَطْ أَوْ عَلَيْهِمَا مَعًا الصَّادِقُ بِصُورَتَيْنِ فَهَذِهِ صُوَرٌ ثَلَاثٌ (وَقَوْلُهُ، وَأَمَّا إذَا صَالَحُوا) أَيْ: فَعَلَ الْخِلَافُ هَذِهِ الصُّورَةَ فَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ ثَلَاثٌ وَالْمُخْتَلَفُ فِيهِ وَاحِدَةٌ (قَوْلُهُ أَوْ عَلَيْهِمَا مَعًا) صَادِقٌ بِصُورَتَيْنِ صُورَةِ الْإِجْمَالِ وَصُورَةِ مَا إذَا عَيَّنَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا قَدْرًا مُعَيَّنًا فَهَذِهِ صُوَرٌ أَرْبَعٌ (قَوْلُهُ سَوَاءٌ وَقَعَ الصُّلْحُ إلَخْ) أَيْ:." (١)

"جَاوَزَ الثُّلُثَ فَلِلْأَجْنَبِيِّ السُّدُسُ) وَلِلْوَارِثِ السُّدُسُ، لِأَنَّ الْوَارِثَ يُزَاحِمُ الْأَجْنَبِيَّ مَعَ الْإِجَازَةِ فَإِذَا رَدُّوا تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْبَاقِي بَيْنَهُمَا كَمَا لَوْ تَلِفَ بِغَيْرِ رَدٍّ.

(وَلَوْ رَدُّوا نَصِيبَ الْوَارِثِ وَأَجَازُوا لِلْأَجْنَبِيِّ فَلَهُ الثُّلُثُ كَإِجَازَتِهِمْ لِلْوَارِثِ) فَيَكُونُ لَهُ الثُّلُثُ لِأَنَّ لَهُمْ أَنْ يُجِيزُوا لَهُمَا وَيَرُدُّوا عَلَيْهِمَا فَلَهُمْ أَنْ يُجِيزُوا لِأَحَدِهِمَا وَيَرُدُّوا عَلَى الْآخَرِ (وَإِنْ رَدُّوا وَصِيَّةَ الْوَارِثِ وَنِصْفَ وَصِيَّةِ الْأَجْنَبِيِّ فَلَهُ) أَيْ: الْأَجْنَبِيِّ (السُّدُسُ) لِأَنَّ لَهُمْ أَنْ يُجِيزُوا الثُّلُثَ لَهُمَا فَيَشْتَرِكَانِ فِيهِ فَإِذَا رَجَعُوا فِيمَا لِلْوَارِثِ لَمْ يَزِدْ الْأَجْنَبِيُّ عَلَى مَالِهِ حَالَ الْإِجَازَةِ لِلْوَارِثِ وَلَوْ أَرَادُوا نَقْصَ الْأَجْنَبِيِّ عَنْ نِصْفِ وَصِيَّتِهِ لَمْ يَمْلِكُوا ذَلِكَ، أَجَازُوا لِلْوَارِثِ أَوْ رَدُّوا.

(وَلَوْ وَصَّى لَهُ وَلِجِبْرِيلَ) بِثُلُثِ مَالِهِ (أَوْ لَهُ وَلِحَائِطٍ بِثُلُثِ مَالِهِ فَلَهُ جَمِيعُ الثُّلُثِ) لِأَنَّ مَنْ أَشْرَكَهُ مَعَهُ لَا يَمْلِكُ فَلَمْ يَصِحَّ التَّشْرِيكُ.

(وَلَوْ وَصَّى لَهُ وَلِلرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِثُلُثِ مَالِهِ قُسِمَ بَيْنَهُمَا نِصْفَيْنِ وَيُصْرَفُ مَا لِلرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ) كَخُمُسِ خُمُسِ الْغَنِيمَةِ.

(وَلَوْ وَصَّى لَهُ وَلِلَّهِ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (أَوْ لَهُ وَلِإِخْوَتِهِ) بِشَيْءٍ (قُسِمَ نِصْفَيْنِ) وَصُرِفَ مَا لِلَّهِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ (وَلَوْ وَصَّى لِزَيْدٍ وَلِلْفُقَرَاءِ بِثُلُثِهِ قُسِمَ) الثُّلُثُ (بَيْنَ زَيْدٍ وَالْفُقَرَاءِ نِصْفَيْنِ نِصْفُهُ لَهُ) أَيْ: لِزَيْدٍ (وَنِصْفُهُ لِلْفُقَرَاءِ) لِأَنَّهُ قَابَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَاسْتَوَيَا فِي قَدْرِ اسْتِحْقَاقٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ: لِزَيْدٍ وَعَمْرٍو وَلَوْ قَالَ: لِزَيْدٍ وَالْفُقَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ فَلِزَيْدٍ الثُّلُثُ وَلَهُمَا الثُّلُثَانِ لِذَلِكَ.

---

(١) شرح مختصر خليل للخرشي محمد بن عبد الله الخرشي ٥١/٧

(وَلَوْ كَانَ زَيْدٌ فَقِيرًا لَمْ يَسْتَحِقَّ مَنْ نَصِيبِ الْفُقَرَاءِ شَيْئًا) لِاقْتِضَاءِ الْعَطْفِ الْمُغَايِرَةَ وَكَذَا لَوْ وَصَّى لِزَيْدٍ وَجِيرَانِهِ بِشَيْءٍ لَمْ يُشَارِكْهُمْ زَيْدٌ بِكَوْنِهِ جَارًا.

وَلَوْ وَصَّى لِقَرَابَتِهِ وَالْفُقَرَاءِ فَلِقَرِيبٍ فَقِيرٍ سَهْمَانِ ذَكَرَهُ أَبُو الْمَعَالِي لِأَنَّ الْمُرَاعَى فِي الِاسْتِحْقَاقِ وَصْفُهُ فَجَازَ تَعَدُّدُ اسْتِحْقَاقِهِ بِتَعَدُّدِ وَصْفِهِ.

(وَإِنْ وَصَّى بِهِ) أَيْ: بِالثُّلُثِ (لِزَيْدٍ وَلِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَلَهُ أَيْ: زَيْدٍ تُسْعٌ فَقَطْ وَالْبَاقِي لَهُمَا) أَيْ: الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ (وَلَا يَسْتَحِقُّ مَعَهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ) شَيْئًا لِمَا تَقَدَّمَ.

(وَلَوْ وَصَّى بِمَالِهِ لِابْنَيْهِ وَأَجْنَبِيٍّ) وَلَا وَارِثَ غَيْرَ ابْنَيْهِ (فَرَدَّا وَصِيَّتَهُ لَهُ) أَيْ: الْأَجْنَبِيِّ (التُّسُعَ) لِأَنَّهُ بِالرَّدِّ رَجَعَتْ الْوَصِيَّةُ إلَى الثُّلُثِ وَالْمُوصَى لَهُ ابْنَانِ وَأَجْنَبِيٍّ فَيَكُونُ لِلْأَجْنَبِيِّ التُّسُعُ لِأَنَّهُ ثُلُثُ الثُّلُثِ.

(وَلَوْ وَصَّى بِدَفْنِ كُتُبِ الْعِلْمِ لَمْ تُدْفَنْ) قَالَهُ أَحْمَدُ، وَلَعَلَّ وَجْهَهُ أَنَّ الْغَرَضَ نَشْرُ الْعِلْمِ لَا إخْفَاؤُهُ.

(وَلَوْ وَصَّى بِإِحْرَاقِ ثُلُثِ مَالِهِ صَحَّ وَصُرِفَ فِي تَجْهِيزِ الْكَعْبَةِ وَتَنْوِيرِ الْمَسَاجِدِ وَلَوْ وَصَّى بِجَعْلِ ثُلُثِهِ فِي التُّرَابِ فِي تَكْفِينِ الْمَوْتَى) ، وَلَوْ وَصَّى (بِجَعْلِهِ) أَيْ: الثُّلُثِ (فِي الْمَاءِ صُرِفَ فِي عَمَلِ سُفُنِ الْجِهَادِ) مُحَافَظَةً عَلَى تَصْحِيحِ كَلَامِ الْمُكَلَّفِ مَهْمَا أَمْكَنَ وَإِنْ أَوْصَى بِجَعْلِهِ فِي الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ نَصْرِ اللَّهِ يَتَوَجَّهُ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ **بادهنج** لِمَسْجِدٍ يَنْتَفِعُ بِهِ." (١)

"الْفِقْهِ وَالْآثَارِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ لَا يُعَدُّونَ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا الْعُلَمَاءُ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْأَثَرِ.

(وَمَنْ وَصَّى بِإِحْرَاقِ ثُلُثِ مَالِهِ صَحَّ وَصُرِفَ فِي تَجْمِيرِ الْكَعْبَةِ) ؛ أَيْ: تَبْخِيرِهَا (وَتَنْوِيرِ الْمَسَاجِدِ) وَشِرَاءِ بَارُودٍ لِجِهَادِ كُفَّارٍ.

(وَ) لَوْ وَصَّى بِثُلُثِ مَالِهِ (فِي التُّرَابِ يُصْرَفُ فِي تَكْفِينِ الْمَوْتَى) .

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع البهوتي ٤/٣٦٦

(وَ) لَوْ وَصَّى بِثُلُثِهِ (فِي الْمَاءِ، يُصْرَفُ فِي عَمَلِ سُفُنٍ لِلْجِهَادِ) مُحَافَظَةً عَلَى تَصْحِيحِ كَلَامِ الْمُكَلِّفِ مَهْمَا أَمْكَنَ (وَيَتَّجِهُ) وَلَوْ وَصَّى بِثُلُثِهِ (فِي الْهَوَاءِ فَـ) يُصْرَفُ (فِي نَحْوِ سِهَامٍ) كَنُشَّابٍ (تُرْمَى فِي الْجِهَادِ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ مُتَّجِهٌ. (وَقَالَ ابْنُ نَصْرِ اللَّهِ يَتَوَجَّهُ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ **باذهنج** لِمَسْجِدٍ يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُصَلُّونَ قَالَ) تِلْمِيذُهُ (فِي " الْمُبْدِعِ " وَفِيهِ شَيْءٌ) انْتَهَى.

(وَتُنَفَّذُ وَصِيَّةُ) مُوصٍ بِجُزْءٍ مُشَاعٍ مِنْ مَالِهِ كَرُبُعٍ وَخُمُسٍ (فِيمَا عَلِمَ) الْمُوصِي (مِنْ مَالِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ) مِنْهُ؛ لِعُمُومِ لَفْظِهِ، فَإِنَّ الْمَالَ يَعُمُّ مَعْلُومَهُ وَمَجْهُولَهُ، وَقِيَاسًا عَلَى نَذْرِ الصَّدَقَةِ بِالثُّلُثِ.

(فَإِنْ وَصَّى بِثُلُثِهِ) لِنَحْوِ زَيْدٍ أَوْ مَسْجِدٍ (فَاسْتَحْدَثَ مَالًا) بَعْدَ الْوَصِيَّةِ (وَلَوْ بِنَصْبِ أُحْبُولَةٍ قَبْلَ مَوْتِهِ فَيَقَعُ فِيهَا صَيْدٌ بَعْدَهُ دَخَلَ ثُلُثُهُ) ؛ أَيْ: ثُلُثُ الْمَالِ الْمُسْتَحْدَثِ (فِي الْوَصِيَّةِ) قَالَ فِي " الْإِنْصَافِ " هَذَا الْمَذْهَبُ، وَعَلَيْهِ الْأَصْحَابُ. قَالَ فِي " الْمُحَرَّرِ ": وَمَنْ وَصَّى بِثُلُثِ مَالِهِ؛ تَتَنَاوَلُ الْمُتَجَدِّدَ وَالْمَوْجُودَ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ، وَلِأَنَّهُ تَرِثُهُ وَرَثَتُهُ (وَيُقْضَى مِنْهُ دَيْنُهُ) أَشْبَهَ مَا لَوْ مَلَكَهُ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ.

(وَإِنْ قُتِلَ) مَنْ أَوْصَى بِجُزْءٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ عَمْدًا أَوْ خَطَأً (فَأُخِذَتْ دِيَتُهُ فَمِيرَاثٌ) ؛ أَيْ: فَدِيَتُهُ مِيرَاثٌ عَنْهُ، فَتَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ التَّرِكَةِ. قَالَ فِي " الْإِنْصَافِ ": وَهُوَ الْمَذْهَبُ. قَالَ أَحْمَدُ: قَدْ قَضَى النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ الدِّيَةَ مِيرَاثٌ، فَعَلَى هَذَا (تَدْخُلُ) الدِّيَةُ (فِي وَصِيَّةٍ، وَيُقْضَى مِنْهَا دَيْنُهُ) لِأَنَّهَا بَدَلُ نَفْسِهِ وَنَفْسُهُ لَهُ؛ فَكَذَلِكَ بَدَلُهَا، وَلِأَنَّ دِيَةَ أَطْرَافِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ لَهُ، فَكَذَلِكَ دِيَةُ نَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَإِنَّمَا يَزُولُ." (١)

---

(١) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى الرحيباني ٤/٤٩٧